طالب همّاش

اليوم أنهيتُ البكاءَ على حبيبي

شعر

منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق

جاري يا عازف الكمان

من موضعيَ الواطىء من ظلمةِ داري .
من ظلّي المحفورِ على جدرانِ الحبر العاري .
حيث تلوحُ الأيام محطّمةً
والورقُ الساقطُ من أشجار خريفِ العمر
يغطّيني كالأكفانْ !
وتصاويرُ أحبّائي
تتساقط كقصاصاتٍ سوداءَ على أصصِ الورد
وفوق كراسي النسيانْ ..
من بيتي المرفوعِ على جدرانِ الليل بلا جدرانْ ..
أتطلّعُ نحو الشرفات العليا
فأرى جاري الناظرَ بحو بحيراتِ المغربِ كالظمآنْ ..
يتأمّلُ في الأفقِ المُرسلِ
سربَ عصافيرِ الجنّةِ ،
والبجعَ المتناثرِ تحت شراعِ الغيم
شرائطَ للأحزانْ ..
يتأملُ في الليلِ مجاهيلَ الليل
ويعزفُ أنغاماً مسكرةً
كنداءاتِ الحيرة في الناي ..
كما يتطهّرُ قلبُ الغيمةِ في قزحِ العذراءِ
كما تُذرفُ من عين القدّيسِ
على كفّ العاشقِ حبّاتُ الرمانْ !
فأمدّ يديّ إليهْ
وأناديهْ :
أحزانكَ في الليلِ كمنجاتٌ جوعى
وأغانيكَ العذبة تسقطُ كالدمعاتِ على عينيَّْ
فإليّ .. إليَّْ !
يا بوذا الليل السهرانْ
إعزفْ بكمانكَ في الأفق الأزرقِ
كي أتأمّلَ حزنك في ضوءِ القمرِ السكرانْ !
* * *
ما أجملَ أن تتقطّرَ قرب دموعكَ
في أوقاتِ المحنة دمعاتُ أخيكْ !
إعزف ما يجعلُ قلبَ الأمل الواقفِ في بابِ الدمعةِ

حرفَ نداءٍ يرثيكَ!
* * *
... ما يجعلُ ضوءَ القمر الأبيضَ
ينحلّ على صدرِ العاشق
غصّاتٍ.. غصّاتْ !
* * *
إعزفْ كي تتطهّرَ نفسي السكرى
في لحظاتِ الصمتِ الصوفيّ
وتنحلَّ سكينةُ حزني السرّانيّ
إلى قطراتْ!
* * *
إعزف كي يهتزَّ مهبُّ الريح
على الأوتار
ويرتعشَ الأمواتْ !
إعزف ما يجعلُ روحي
تتكهربُ بالأنوارِ الوردية
فوق غصونِ الرؤيا كالكروانْ ..
فأنا أهتزّ حزيناً ورقيقاً
كالوترِ المشدود على جسمِ كمانْ !
عزفك سحريٌّ ، سرانيٌّ
أرأفُ من نسمات الفجرِ
وأطيبُ من قلب العصفورْ
* * *
وأنا قدّيسُ العمر المتأمّلُ عند طلوعِ الفجر
طيورَ صلاتكَ سابحةً فوق بحيراتِ البلّورْ .
فاعزف كي تتقطّرَ أوجاعُ الشاعر
من مصباحِ الليل الدامعِ
في كأسِ الصمت المكسورْ !
* * *
نوراً مجروحاً يتقطّرُ من جمرة نورْ !
* * *
ما أجملَ أن يصبحَ قلبي طيرَ سنونو
يشربُ دمعاتِ مراثيكْ !
ما أجملَ أن تبلغَ زقزقةُ العصفور بصدري
أجراسَ أغانيكْ !
ما أجملَ هذا العزفَ النازف
فوق عذاباتِ الإنسانْ!!

ما أجملَ هذا الكون العالي ..
موسيقى سارحةٌ
وفضاءٌ صافٍ
تتصوّفُ في قدّاسِ سكينتهِ البيضاء
نفوسُ الرهبانْ !
ما أجمله .. كوناً يتلألأ أزرقَ
تحت قناديلِ الرحمانْ !!
فارفعْ صوتكَ في بُحْرَانِ الوحشة ..
عذّبني بنحيبكَ ،
واقتلني بأنينكَ ، انزلني وارفعني
كسراجِ نبيذٍ أعمى
لأحدّقَ كالذاهل في رؤياكْ !
فأراكْ
مكسوراً وعطوفاً ونقيَّ القلب
فأسقي نفسي الظمآى من ينبوعِ أساكْ ..
حلّق بجناحيكَ لتحملَ آلامي كالطير
لأبصرَ أزهارَ الدنيا في عينيكَ ..
وتبصر في عينيّ سماواتِ الخسرانْ !
يا جارَ الليل السهرانْ !
يا بوذا الواقفَ فوق سكونِ العالم
والشاردَ كالراعي بين قداديسِ السلوانْ !
اعزف أغنيةً عن حزنِ أخيكَ المتعبّد
عن غربته بين سراةِ الناسْ !
.. أغنية تتلامسُ موسقاها العذبةُ كالأجراسْ ..
فكلانا تتساقطُ أوراقُ كآبته
من بين يديهِ ، وتبلله الحسراتْ
وكلانا يغمضُ عينيهِ على طيف صديقٍ غابَ
ويبكي منفرداً في القداسْ !
وكلانا لا ينزحُ من بئرِ لياليه السوداءِ
سوى الدمعاتْ ..
فاعزف ما يجعلُ أوتارَ كمانك
تتألّمُ كالمطرِ المرّ على صدرِ الأمل المهزومِ
وكالريحِ على طرقات الحادينْ !
فأنا في هذي الوحدةِ
نحّاتُ تماثيل الغربة من أحجارِ الدمع
وصدّيقُ البكّائينْ !
أنحتُ أصناماً غابرة الحزنِ لأسلافي المفقودينْ ..

أسقي أزهارَ النرجس من ماء الغصّاتِ
فترشحُ عطرَ الزهر حزينْ .
لا امرأة لتردّ ضفائرها الذهبيةَ فوق جبيني
فأقول لها :
كأسُ النهدِ صغيرٌ في الأبيضِ يا زهراءُ فغطّيني !
فالليلُ حزينُ المطلع
والظلمة أصفى من عينِ السكرانْ !
..أنحتُ وحشتنا
أنقلُ يأسَ الروح إلى الصلصالْ ..
أنحتُ في الصمتِ المبهم شمسَ زوالْ ..
أنحتُ أوجاعَ العازفِ إذ تترقرقُ في سكراتِ الموّالْ ..
أنحتُ وجهَ فتاةٍ أجمل من قوس هلالْ ..
* * *
يا بوذا الليل المتأملِ
هل أبصرتَ جمالَ المصلوبِ يضمّ عذاباتِ
الدنيا بين ذراعيهِ
ويعلو فوق غروبِ الشمس الزائلِ كالربّانْ ؟
هل أبصرتَ شقيقَ مراثيك
يمارسُ حزناً روحانياً في البيت
ويرفعُ نحو سماواتِ الفجرِ نحيباً منفردًا
ويموتُ على الصلبانْ .
فأنا لست سوى شبحٍ مهجورٍ
يمشي كالظلّ على الطرقاتْ !
لكن حين يشيعُ الليلُ وتنطفىء الحجراتْ ..
أتطلّعُ نحو الشرفات العليا فأراه ..
العازف إيّاهْ
يطبقُ كفّيهِ على عينيهِ ويبكى كالكهّانْ
ويسيلُ كدمعةِ حزنٍ في لحن كمانْ .

نهريّة لانتحار العاشقة

عينانِ أمْ كأسانِ مسكرتانِ للرؤيا

أم امرأةٌ يلوّحُ صدرها الرمّانُ
قبلَ هبوبِهِ الأعمى على الشهواتِ
أم تفّاحةٌ عند الشروقِ
تكوّرتْ في شكلِ نهدْ ؟

أم أنّهُ ماءُ الأنوثةِ سالَ
في نهرٍ رضيعِ العشبِ
تحملهُ فتاةٌ يستحمُّ جمالُها في الشمسِ
كي تسقيهِ كأسَ حنينها الصافي ،
وتهديهِ تطايرَ شعرها المعجونِ بالحنّاءِ
من شبّاكِ وردْ ؟

عينانِ أم صبحانِ يغتسلانِ بالصّابونِ
بينَ (جداولٍ) زرقاءَ
أم قمرُ الليالي الأنثويّةِ
رائقُ المرآى كقرصِ الشهدِ
يسبحُ في أديمِ جمالهِ الأخّاذِ
خلفَ سحابةٍ في البُعدْ ؟
كيمامةٍ بيضاءَ عرّتْ جسمها الملسوعَ بالأزهارِ
وانتحرتْ بأوجِ كمالها
في النهرِ تاركةً دوائرَ لا تُعدُّ !

لم يستفقْ صوتٌ من الأسماعِ
كي يرثي امتدادَ الصوتِ بالنّاياتِ
أو هبّتْ على الصفصافِ عاصفةُ الحمائمِ
كي ترعرعَ حزنها فوق الهديلِ
ولا استفاقتْ من حداءٍ كمنجةٍ
شمسُ الأماسي كي تضمَّ النورَ
مثل ثُرَيَّةٍ في البردْ !
لم تستحمَّ (جداولٌ) من قبلُ في هذا الرحيقِ
ولا رأتْ عينانِ أجملَ من مطالعِ
شمعدانِ الفجرِ في ضوءِ المياهِ
كأنَّ ماءَ الصبحِ مسكوب
على سطرينِ من حزنِ القصيدةِ
وهي تفردُ جانحينِ من المجازِ
لكي تحلّقَ في فضاءٍ لا يحدْ !

يا وارداتِ النهرَ عبّئنَ الجرارَ
بمائها الدامي ،
بملح دموعها المنحلّ في الأمواج
واسقينَ الأسى للناسِ ،
للعشاقِ إن مرّوا حزانى
في أصائلِ حزنها الممتدْ !
وانشرنَ ثوبَ زفافها فوق الغصونِ
لكي يرفرفَ كالحمامةِ في النسيمِ
ويستردَّ صفاءَ صورتها
الذي لا يُستردْ !

ما كنتُ أبصرُ في تراكضها على الأعشابِ
غيرَ غزالةٍ شتويةِ الأحزانِ
أو طيرٍ ينقّلُ قبراتِ القمحِ من حقلٍ إلى حقلٍ
و(ريحانٍ) يهزُّ طفولةَ الأحلامِ
من مهدٍ لمهدْ .

كانت على شجرِ الصباحاتِ الرضيعِ
تشفُّ كالأطيافِ في ماءِ العيونِ
وقلبها المعبودُ يشهقُ في الأصائلِ
مثل غرسةِ كستناءْ !

ينشقُّ عن تفّاحِ رؤياها شروقُ الشمسِ
أحمرَ زاهراً
كشقائقِ النعمانِ
والرمّانُ يعصرُ لونَهُ الورديَّ
فوق شفاهها
ويذوبُ ماءُ الحبِّ في لونِ الإناءْ .

لم تمسسِ الألوانُ عينيها سوى بالدمعِ
والناياتُ غصّتها سوى بهديلها الحاني
ليسعدَ عندليبُ الحزنِ في الشجرِ البعيدِ
ولم يرفرفْ طائرُ الطّيونِ حول شفاهها
إلا ليرشفَ قطرةَ الأعنابِ
من فمها المكوّرِ مثل ضُمَّةِ هندباءْ .

وقفتْ كنحتِ الليل ترفعُ للهلالِ جمالها المغدورَ ،

مصغيةً إلى ذوبانه ِالشهويّ ِفي روحِ المياهِ
فلم ترَ العشّاقَ يستلّونَ سيفَ َالدمعِ
في وجهِ العراءِ
ولا البنات الناظرات إلى هديلِ حمائم ِالشطآن
لم تلحظْ سوى حورٍ شديدِ الحزن
يركضُ باتجاهِ الأرضِ ،
والشمسِ الجريحةِ مثل ياءٍ ميتةٍ
في نهرٍ ماءْ .

رأتِ المنيّةَ طفلةً زهراءَ
تحملها نعوشُ الفجرِ فوق أكفّها البيضاءِ ،
والقداسَ فضيّاً يشعشعُ بالشموعِ ...
رأتْ سماواتٍ مسجّاةً على الغيماتِ
يسقيها دماءَ الوردِ إبريقُ الشروقِ ،
وطائرَ الموت ِالمبكّرَ شارداً
فوق السهوبِ
فجمّعت كلَّ النساءِ بروحها
وتساقطت في النهرِ مفرطةَ الجمالْ !

صبحاً فصبحا كان ينضجُ قلبها
كالشمسِ في الغدرانِ
والعنبُ النبيذيُّ المعطّرُ
كان يرشحُ مثل حبّاتِ التشهّي
من غصون التين
لم تكن الأغاني غيرَ أجراسٍ
مدلاّةٍ على النسيان
أو تنويمة في أرخبيلِ الدمع للأطفال
تنشدها على سمعِ الرموز ملامسُ الأجراسِ
والنورُ المؤنّثُ في العيونِ السود
يرشحُ من سماء اللونِ أطيافاً ملوّنة الخيالْ .

لكن ريحاً عذبةً راحت تهزُّ اللوزَ في الجسدِ الصغير
فأينعَ العنابُ فوق غصونه السكرى
وطابَ قطافه قبلَ الأوانِ
فراحت الغصّات تقطرُ من غيوم ِالظهر
والشهواتُ تركضُ مثل آلاف من الرعشات
في مرج الغزالْ .

ما كانَ غيرُ الملمسِ المجروحِ للأجّاص
يلمعُ في كسوفِ النهد تحت الضوءِ
كانت عاشقاتٌ عارياتٌ يقتطفنَ البيلسانةَ من سماءِ اللوز
والأفواهُ تشهق في الفضاءِ الطفلِ
كنتُ أشمُّفوحَ روائحِ الريحانِ
في جسدٍ يلوحُ جماله
قمرًا صغيرًا في مساءٍ متعبِ الأهدابِ
أو أصغي لصوتِ تلامسِ الأزهارِ
في أعلى السياجْ .
فسمعتُ همساً رائعَ الأصداءِ
من جهةِ الحفيفِ
كأنه نقراتُ موسيقا على كأسِ الزجاجْ .

ونظرت لم تكنِ الأنوثةُ غيرَ طيفٍ
طائفٍ في الحبر
والصبحُ المصبَّرُ غيرَ زهرةِ نرجسٍمنحلّةٍ في الماءِ
والشمسُ الصبوحةُ ذاتها
غيرَ انثيالِ النورِ من روحِ السراجْ .

متطلّعاً في شمسها التعبى
أرى ندمَ الغروبِ على جمالٍ ضاعَ
أبصرُ بالرؤى السكرى
فراغاً نادمَ الأيدي
يجمّعُ بين كفّيهِ الشروقَ إلى الأفولِ
ويختفي تحت الغيوم الباكيه .

لكن ضوءاً سوفَ يولدُ أخضرَ الأهدابِ
يرفعها على أيدي الطبيعةِ
كي ينقّحها البياضُ الطلقُ بالأزهارِ
والنعناعُ يزرقُ زيته العطريَّ
في شريانها
كي يستديرَ بصدرها الرمانُ ثانيةً
وتلهو فوق عينيها
(عصافيرٌ) تزقزق في سماءٍ صافيه .

هي ذي غدائرُ شعرها السوداءُ

قد هبّتْ هبوبَ (نسائمٍ)حبلى برائحةِ الحنين
وفاحَ عطرُ شميمها البريّ في الأشجارِ ..
نهداها وقد لاحا على الأغصانِ ..
مطلعُ وجهها الغافي
كما يغفو هلالٌ سابحٌ في ساقيهْ .
هي ذي موسيقى صوتها السكرى
وقد سالت كماءٍ دامعٍ من شهوةِ الأعشابِ
ضُمَّةُ قلبها مقطوفةٌ كالجرحِ من صدر القصيدة
وهي تلقمُ ثديها للقافيه .
هي ذي تخوّضُ كالغزالةِ
مشتهاةَ الحزنِ في برك ِالربيعِ
ويستهلُّ السهلُ شهوتها
التي اشتعلت كحبرِ اللوزِ في غيبوبةِ الأشجارِ
والمطرُ الذي يهمي ثلوجَ الدمعِ
من نطفِ الزهورِ اليانعه .
والآنَ بعد تعاقبِ الأعوامِ
أبصرها تسابقُ في مروج المتعةِ الخضراء ِذئبَ الموتِ ،
تلعبُ لعبةَ الموتِ الجميلة ِمرةً أخرى
وتقذفُ نفسها في الساقيه .

بحيرات للتأمّل

بحيراتٌ وموسيقى وأفقٌ رائعُ الأصدافْ
بحيراتٌ لنخلدَ للتأمّلِ
في مصيرِ العمرِ
عند نهايةِ الصفصافْ .
بحيراتٌ لنبصرَ في الطيورِ العالياتِ
حنيننا للموتِ
حين نغادرُ الدنيا
ونسبحُ في سماءِ الليلِ كالأطيافْ .
بحيراتٌ لنصغي في نحيبِ الموجِ
للمرثيةِ الأزليّةِ الإنشادِ
خلفَ (مراكبٍ) رحلت إلى الماضي
ولم ترجعْ بها الأيّامُ من غيبوبةِ النسيانِ ..
للموتى الذين ترهّبوا في غابةِ الأسلافْ .
هي الطلليّةُ الأبديّةُ النشدانِ للعشاقِ ،
معموديّةُ الذوبانِ في الذكرى البعيدةِ
وانحلالُ الروحِ كالحسراتِ تحتَ تهاطلِ النفنافْ .
كأنَّا في شواطئها حداةُ الموتِ
خلفَ نوافذِ المجهولِ
يحملنا هديلُ حمائمِ الأمواجِ
للإبحارِ خلفَ تعاقبِ الأعوامِ ،
للتحديقِ في الرحمِ الغروبيّ الجريحِ
وقد تكوّرَ كالجنينِ على أمومةِ حزنهِ الشفافْ .
كأنَّ نشيجها المائيَّ رجعُ قصائدِ الهجراتِ للنائين ..
ترجيعُ المواويلِ التي تتكرّرُ الزفراتُ
تحت رياحها الصماءِ ،
والمعنى لصرخةِ عاشقٍ في الأبجديّةِ
أدركتهُ الإنتحابةُ فانبرى كالطفلِ
يلهجُ حائراً بنبوءةِ العرّافْ .
بحيراتٌ لنشهدَ بالخيالِ أنوثةَ الأشجارِ
تخفقُ في فضاءِ العزلةِ المخضوبِ بالدمعاتِ ،
والشمسَ التي نُحتتْ من الحزنِ السماويّ المقدّسِ
في الغروبِ ،
ونشهدَ الضوءَ الذي يتطهّرُ الغرباءُ
في محرابهِ

من سوأةِ الأوصافْ .
..لنجلسَ ساكنينَ وشاخصينَ كآخرِ الزهّادِ
في طيرانِ قبّرةِ الأفولِ وراءَ خطِّ الذكرياتِ
..مفكّرينَ كأوّل الرهبان
فيما يجعلُ الأمواجَ توقيتاً لعمرٍ ضاعَ ،
والأيامَ نائيةً يغيبُ هلالها في آخرِ الأريافْ .
بحيراتٌ تراهفُ في المدى الشفقيّ
أحزانَ الغنائيّاتِ ،
والرؤيا البعيدةَ لابيضاضِ الروحِ
في أفق الرؤى المذهولِ
والفانونَ حول أفولها الموهومِ
أصنامٌ تحدّقُ في أديمٍ مقمرٍ
في ليلهِ المصطافْ .

موسيقى الحزن الأزرق

أشعلتُ سراجَ السهرةِ في صحنِ الدارْ
وعصرتُ على الأقداحِ دمَ العنقودْ
فلماذا يصمتُ في العشقِ غناءُ الغيتارْ ؟
ولماذا يسكتُ في الحزنِ بكاءُ العودْ ؟

الليلُ سكينةُ قلبٍ (سكرانٍ)
يتنزّلُ كمراثٍ بيضاءَ على صدري
والخمرةُ رائقةٌ ، تترقرقُ نشوتها في الإبريقْ .
وأنا أقطرُ صمتي في حوجلةِ الحزنِ الزرقاءِ ،
وماءَ عيوني في كوزِ الدمعِ الشفّافِ
وأنحلُّ بحزني في محبرةِ العتمةِ
كالأنبيقْ !
وأحدّقُ من شبّاكِ العزلةِ في أنظارِ الناسِ الدامعةِ التحديقْ !
(أسياناً) بالحزنِ وصوتِ الأجراسِ المهموسِ
أصبُّ الغصّةَ من صدري في كوبِ يديَّ
فتشربها الريحُ..
وأبكي في الصمتِ المتعبِ رقّةَ روحي
وأكفكفُ كالباكي
سيلانَ الدمعةِ عن خدٍّ صديقْ !
نفسي غارقةٌ في سرِّ الوحشةِ
تتألمُ فيها أوجاعُ (مواويلٍ) ،
وتغطُّ يتامةُ أغنيةٍ في غصّتها ،
وتطولُ قدودْ !

فلماذا يسكتُ في الليلِ بكاءُ العودْ ؟
الآنَ سأغمضُ عينيَّ وأغفو
فوق حفيدِ الشجنِ البغداديّ
وأستعطفُ ما فيهِ من البحّةِ
والآهةِ والرجفةِ والرعشةِ والأنّة ...
أستعطفُ ترجيعَ الوترِ المُرخى
وأشدُّ على ألامِ الوترِ المشدودْ !
يا سلطانَ الحزنِ المرفوعِ كقلبِ العاشقِ
فوق ذراعيْ قمرٍ مذبوحْ !
رُشَّ الخمرَ على الأوتارِ

ورتّلْ بجميلِ الصوتِ !
لتسحرَ بالأصداءِ
سرائرَ هذا الموتِ المفدوحْ !
راحتكَ اليمنى عصفورٌ واليسرى كروانٌ
وبلابلُ أوتاركَ أجراسٌ سودْ ..
وأصابعكَ العشرةُ تتدلّى فوق الدمعةِ كالعنقودْ !
وأنا المغسولُ بماءِ الصبحِ الأبيضِ
قلبي نافورةُ حبرٍ تبكي
وعيوني ذوبُ ثريّاتٍ
فوق مرايا البلّورِ المجروحْ !
فاشرحْ صدرَ شقيقِ مراثيكَ السهرانَ
بمعزوفةِ موسيقى !
موسيقاكَ غديرٌ يسقي بستانَ دموعي ،
ويربُّ بماءِ الوردِ الروحْ !
موسيقاكَ شروقٌ يتقطّرُ كالعنبِ المخمورِ
على شفةِ الظمآنِ
وفجرٌ يشرقُ كالتفّاحةِ
والإشراقُ يفوحْ ..
وشموسٌ تتشعشعُ ناعمةً تحت المطرِ العاطرِ
والرمّانُ على الأغصانِ جروحْ ..
ما أصدى صوتكَ حين تغنّي
سكرانَ الصوتِ بأسبابِ عذابكَ في أسماعِ حزاناكَ
وتوقظُ في الليلِ الطاهرِ فردوساً من سكراتْ !

ما أصفاكَ وأنتَ تسوحُ عليلَ الأصداءِ على شطآنِ الغبطةِ
فترقّصُ سكّيراً تحتَ المطرِ الموحشِ
أو تحفرُ في جسدِ العودِ ضريحاً لغناءٍ ماتْ !

فترقرقْ كيفَ تشاء على موسيقى الحزنِ الأزرقِ
واغرقْ في سَكْرَةِ موسيقى
تتقطّرُ كالزنبقِ من غصنِ الأمطارْ !
لا تتركْ قلبي يتأرجحُ كالمصباحِ المطفأ في صحنِ الدارْ !
فلقد ذابَ الصمتُ
وأبحرَ عقلي كشراعٍ أبيضَ في الليلِ
وصارتْ كأسي نهداً يتطلّعُ نحو القمرِ المولودْ !

فلماذا يسبحُ بالدمعِ غناءُ الغيتارْ ؟

ولماذا يتجاوبُ مجروحاً صوتُ العودْ ؟

يا سلطانَ العزلةِ إملأْ طاسكَ من سكراتِ القديسينَ
وذُبْ ساعةَ حزنٍ في صوفيّةِ هذا الليلِ
المتلألىءِ تحتَ جمالِ اللهِ ،
كمئذنةٍ في الأسحارْ !
ذُبْ كالراهبِ في بركةِ ضوءٍ ورديٍّ
وادفنْ سرّكَ في بئرِ الأسرارْ !
فدروبُ الصبحِ قناديلٌ تتدحرجُ فوق حجابِ الدنيا البيضاءِ
وبعد قليلٍ تصبحُ روحكَ قبّرةً
تقرعُ بابَ الجنّةِ
وتدوزنُ بالزقزقةِ الأنهارْ .
فاسرحْ بخيالكَ في هدأةِ موسيقى ...
كم صمتكَ في الصمتِ جميلٌ ،
ورقيقُ الآسِ ..
أأنتَ من الروحِ بحيث تشفُّ حزيناً
كسراجِ البلّورِ
فتسكرُ مما فيكَ شفاهُ الكاسْ ؟
أم أنتَ من الرقّةِ والعطفِ
بحيث تذوبُ بعينيكَ دموعُ الناسْ ؟
نامَ الكونُ وغابتْ في الغيبوبةِ روحُ المرأةِ
والنشوةُ تتغلغلُ في الجسدِ العاشقِ كالأمواسْ ..
لكنّي ما زلتُ أراكَ بعيداً ،
منحنياً فوقَ أنينِ المعزفِ
كملاكٍ يبكي فوقَ النعشِ ،
كمحتضرٍ يشربُ ماءَ مغيبِ الشمسِ
وينثرُ فوق أغانيهِ الميتةِ
إكليلَ ورودْ .
إصح قليلاً
ليرفرفَ طيرُ النشوةِ
بين قلوبِ السهرانينَ ،
وينشقَّ عن الغسقِ النورانيّ
صياحُ ديوكِ الفجرِ على الأسوارْ !
ويصير إلى أجنحةٍ وفراشاتٍ هذا الجسدُ الدودْ .
هطلتْ غيمةُ صيفٍ في باصرتي
فانسابَ شرابُ اللوزِ رضيعاً من صدري
وتلامعَ قزحٌ أخضرُ في صحنِ الدارْ !

فلماذا يسكتُ عن هذا السحرِ صداحُ العودْ ؟
ويغمُّ جريحاً ترجيعُ الغيتارْ ؟

فالليلُ رقيقُ المرآى
والخمرةُ رائقةٌ في الإبريقْ !
مسَّ شغافي السكرُ
فأقمرَ قلبي كهلالٍ في الليلِ
وشقّتْ عيناىَ إلى فردوسِ الفجرِ طريقْ !
لكنَّ المرأةَ لم تأتِ بكاملِ شهوتها
لتصفّرَ في القدحِ الصامتِ
أنغامَ أنوثتها ،
ونباشرَ بالشربِ التحليقْ .
فالليلُ مليءٌ بالبحرِ وريحِ النشوةِ
والأفقُ المفتوحُ على الغامضِ
يغري بالإبحارْ .
إشتعلَ الليلُ ضياءً قزحيّاً

وروائحُ أزهارِ الليمونِ الريّا
تتلألأُ كالأثداءِ
وتوقظُ كوناً من أسرارْ .
ما أبهجَ أن يخضوضرَ هذا الصمتُ الربّانيُّ رنيناً
ويصيرَ هواءُ الأشجارِ رحيقاً ،
وأنا ينبوعاً يتشهّى العنبَ الأحمرَ في النهدينِ
و يرضعُ تحتَ الأشجارْ !
ما أبهجَ أن يغدو الإبريقُ كناريّاً بين غصونِ اللوزِ يُدارْ !

فلماذا تثلجُ دمعاً أوتارُ الغيتارْ ؟

يا صاحبةَ الصوتِ الأندلسيّ
على شباكي تتناثرُ كفراشاتِ الوردِ
أصابيعُ الثلجِ
فتبيضُّ جدائلُ داليةٍ
ويشيخُ الزيتونُ !
من أيّ سماءٍ يتحلّبُ هذا الماءُ الماطرُ ،
من أيّ فضاءٍ أزرقَ ينحلُّ على الروحِ سكونُ ؟
يا خمسَ سنابلَ من خصلٍ شقراءَ

ترشُّ الضوءَ على وجهي المكسورْ !
يا سربَ حساسينَ ينقّرُ صدري
فتدورُ مع اللحنِ رحى الحزنِ الإيقاعيّ
وتطحنُ ذراتِ البلورْ
عيناكِ قطاتانِ تغطّانِ على غصنِ دموعٍ
ويداكِ كمانـاتٌ وسنونو ...
فدعيها توقظُ رجعَ النهوندِ المعجونِ بحزنِ العشّاقِ
لترقصَ روحانا كجناحينِ على المعزفِ
فشحاريرُ الليلِ سهارى
والأرواحُ سكارى
تتمشّى تحت شجيراتِ الفردوسِ
وقد ذابَ العاشقُ في رؤيا المحبوبْ !
والسحرُ بهذا الليلِ جمالٌ مصلوبْ !
فأريحي الروحَ بأغنيةٍ
تجعلُ أوجاعَ العاشقِ
تتدفقُ كالوردِ الأحمرِ من جرحِ كمانْ ...
تجعلُ راهبةَ الصفصافِ الثكلى
تتباكى لذبولِ أخيها الرمّانْ !
تجعلُ من صرخةِ حبٍّ يائسةٍ
كروانـاً يتزوّجُ في الصبحِ الباكرِ كلَّ حماماتِ البستانْ .

* * *

رحلَ الصاحبُ والمرأةُ ذابتْ كالشمعةِ
في الكأسِ
وظلّتْ تتجاوبُ أصداءُ الغيتارْ
كنوافيرٍ سكرى في صحنِ الدارْ .

في الباحة البيضاء للبيت العتيق

اليوم تتركني الكتابةُ مثل ريشةِ شاعرٍ
مغموسةٍ بالدمعِ
كي أهمي على الكلماتِ من عينيَّ
منحنياً على نفسي
كأضلاعِ الكمنجةِ في نهايةِ أغنيهْ .
ومكوّباً كَفيَّ كالكأسينِ
حولَ يتامةِ الدمعِ السكوبْ .

مترقرقَ الغصّاتِ كالناياتِ
يخطو الموتُ خطوتهُ الحزينةَ قرب آلامي
ويشربُ من دموعي نرجسُ الصبحِ الكئيبْ !

اليوم تتركني الأغاني
مثلَ نعشٍ (أبيضٍ)
في الباحةِ البيضاءِ للبيتِ العتيقِ
تضمُّ أزهارُ الحليبِ شفاهها
وتنامُ ظامئةً على صدري
ويرضعُ من جراحي ثديُ ريحٍ جائعهْ ..
وتلفّني مثلَ العباءةِ غيمةٌ عندَ المغيبْ !

ما شفّني وجدٌ
لأغفو تحتَ جنحِ الليلِ غفوةَ عروةِ بنِ الوردِ
بينَ قصيدتينِ تناديانِ الحاءَ في الصحراءِ
عن معنى يردُّ الشمسَ أجملَ
من حمامٍ زاجلٍ فوقَ السهوبْ .

أو راعني مرآى هلالٍ شاعريٍّ
ساعةً في الليلِ
كي أهتزَّ كالأوتارِ للرؤيا
وأشربَ نورها المذبوحَ فوق دمِ الورودِ
كأنّني قنديلُ دمعٍ يرضعُ العينَ الحزينةَ
في مغاربَ ضائعه !

حامتْ طيورُ الصيفِ حومتها الأخيرةَ

فوق بستاني ،
تحطّمَ في نحيبِ القلبِ صوتُ ربابةٍ سكرانُ
يا خيطَ المنيّةِ ضُمَّني وتراً إلى تنويحةِ الصفصافِ
أو فارتقني بالأشجانِ يا وترَ المباكي الموجعه !

أنا عازفُ الأنشودةِ الأعمى
على أسماعِ من سكنوا قداديسَ الخريفِ
وأصبحوا خلفَ النوافذِ كالشموعِ الدامعه !

لكأنَّ من أحببتُ ماتت
واستحالَ جمالُها ألغوزةَ العشّاقِ ،
إيقاعاً بعيدَ الرجعِ
للحزنِ الخليليِّ المحدَّبِ فوقَ نارِ الشعرِ
كالأوزانِ ،
أطيافاً تسيلُ كغيمةٍ زهريّةٍ فوقَ السفوحِ
وتذرفُ الماءَ المدمّى فوق أفواهِ الجراحِ الجائعه !

كانتْ سماءً من أسى مغسولةً بالدمعِ
أكثرَ رقّةً من
جلّنارٍ دامعٍ تحت العيونِ ،
وصدرُها زهرَ الأنوثةِ طاهراً ،
مُتطلّعاً للناظرينْ !

كانت ضفائرها سنابلَ عذبةَ الأمواجِ ،
دمعتُها زهورَ الثلجِ في الأقداحِ
كانت زرقةٌ عذراءُ ترعشُ في سماءِ عيونها
مثل السفرجلِ في الغصونِ
ويمسحُ الطيّونُ فوقَ الخدِّ قطرةَ زيتهِ الصافي
لتشربها قلوبُ العاشقينْ .

الأنثويَّةُ ، شهوةُ السكرِ الجريحةُ
في ابيضاضِ الفجرِ
تفّاحُ الصباحِ المشتهى
ما شبَّ عن صدرِ الصبا نهدانِ
مذ غابتْ تفتّحَ حزنُها ورداً على الجدرانِ
والنورُ المؤنّثُ في كسوفِ الضوءِ تحت الشمسِ
أعماهُ الحنينْ .

لم يبلغِ العشرينَ بعدُ جمالُها
ليفوحَ كالتفاحِ في شجرِ الصباحاتِ الرضيعِ
ولم يسلْ رمّانُها في الخدّ
كالعسلِ المصفّى من نهودِ التينِ
بل شهقَ الوحامُ من انبلاجِ الصدرِ
شمساً من رنينْ .

لم تنهضِ الأشجارُ عن ينبوعها الموؤودِ تحت الضوءِ
كي تقتاتَ عشبَ الشمسِ كالغزلانِ
بل صارت جراحاً في الجذوعِ
ولم تجدْ زيتونةُ الحزنِ التي تعتاشُ في الصحراءِ
عكّازَ الكهولةِ
كي تسيّلَ زيتها دمعاً على الأبوابِ
فالتفتت إلى زيتونها
وبكتهُ في شتويّةِ العطشِ الحزينْ !

لا صوتها الباكي ترعرعَ تحتَ قوسِ الأبجديّةِ
كي يردَّ الريحَ - راهبةَ المراثي الأمّ -
عن مزمارها المكسورِ
أو دقَّ الصدى بمطارقِ الخشبِ الطويلةِ طبلَها الوحشيَّ
كي تصلَ استغاثتها
ولا سمعتْ نداءَ الحبِّ أجراسُ النحومِ الساهره .

بنتٌ تحدّقُ في السماءِ الفاطميّةِ
ثم تشرعُ للمدى جسدَ البياضِ ولونَهُ المجروحَ
مطلقةً حمائمها الحزينةَ في فضاءِ النهرِ كي تهبَ السحابَ بهاءها
فيهزّها وترُ الهديلِ على أناملِ همسهِ البحّاءِ
والأشواكُ تهديها تدحرجَ قلبها الذاوي
على دربِ الغيومِ العابره .

لكأنها منذورةٌ لتموتَ كالرمانِ في شجرِ الخريفِ
وحيدةً ثكلى ،
وتسقطَ روحها كالشمسِ من غصنِ الصباحاتِ الصبيّةِ
في بحيراتِ الأفولِ الغائره .

أتكونُ ساقيةُ الغروبِ جمالَ إمرأةٍ حزيناً

في ارتجاعِ الدمعِ نحو العينِ ،
والصفصافُ قاماتٍ مؤنّثةَ الحفيفِ على الضفافِ
تلاعبُ النسماتُ خضرتها الجريحةَ
كلما دارتْ نواعيرُ الحنينِ الحائره ؟

أم أنّ حزنَ النهرِ موصولٌ بأحزانِ النساءِ الغابراتِ
ووقفةُ الأشجارِ إنصاتٌ بدائيٌّ إلى الموتى البعيدينَ ..
انحناءٌ متعبُ الأيدي لهدهدةِ الجراحِ ،
ولمسِ أفئدة البناتِ الغارقات
وقد رقدنَ بأعينٍ بيضاءَ
في رحمِ المياهِ الخاسره ؟

صافٍ أديمُ الحزنِ في فلكِ المغيبِ
الروحُ جاثيةٌ كصفِّ (حمائمٍ) سوداءَ
فوق أصائلِ القرميدِ
والكلماتُ ترفعها على إبرِ الدموعِ
بلابلُ الشرفاتِ
لكن الأسى لا يُستطاعْ !

وندائي المشدودُ كالوترِ الجريحِ على معازفَ أرهقتها الريحُ
يصرخُ مثلَ ياءِ الليلِ بين قصائدِ الشعراءِ
والحبرُ الذي يجري بمجرى العينِ
من لبِّ الفؤادِ إلى اليراعْ .

ما كانَ لي امرأة تهزُّ الليلَ في جسدي
لتبلغَ نشوتي إثمارها
وتكونَ لي تنويمةً ريفيّةَ الأهدابِ ،
مروى شمعدانِ الفقدِ في إغماءةِ العتماتِ
والسمَّ الذي أُسقاهُ
إن جمّتْ مغاريبُ الوداعْ .

فارفعْ وداعكَ للذين ترهّبوا في الريحِ
كالناياتِ
أو صاروا (تماثيلاً) لحبٍّ ضاعَ
تعلوها (مصابيحٌ) معلّقةٌ على الذكرى
ويكسوها الشحوبْ !

فاليوم يتركني التأمّلُ ساكناً
في ساعةِ الليلِ الحزينةِ
أستحمُّ بدمعتي كالشاعرِ البدويّ في نجواهُ ..
تتركني الكتابةُ
مثل طيرٍ حائرٍ في وحشةِ الشرفاتِ
تحملهُ إلى المنأى الرياحُ
ولا يؤوبُ مع الغروبْ .

قرية تحت سفح الغياب

-1-

خمس نايات وأقواسُ حمامْ
ورياحٌ تجعلُ الحورَ حزيناً
وتقاسيم حجازٍ
تملأُ الليلَ نوافيرَ كلامْ .
وغروب من يمامٍ راحلٍ
يطلعُ من حزنِ البحيراتِ
شهيداً، لابساً من زعفرانِ الغيمِ
قمصانَ الظلامْ .
كلما غِبْنَا رأينا راهباً أبيضَ
في الأفقِ ،
وأرتالَ مصلّينَ يقيمونَ صلاة الفجر
في ديّارةٍ فوقَ الغمامْ .
فسقينا من أيادينا عطاشَ الريحِ
طلاّ
وتساقطنا على أهدابها التعبى نيامْ .
ورأينا حزنها المقمرَ شلالَ دموعٍ
وسمعنا صوتها الزاجلَ في الليلِ
مواويلَ هُزامْ .
فاسقني الخمرَ بكأسِ الخزفِ الغامضِ
واجعلني حزيناً تحت جنحيكَ
وعلّمني المدامْ !
بلغَ السكرُ فؤادي بين آسٍ وخزامْ !

-2-

أيها النهرُ توقّفْ
فالسماواتُ أضاميمُ غيومٍ
والقرى
مبخرةٌ تطلقُ تيجانَ الدخانْ !
و المساءاتُ ترشُّ الشذرَ الأزرقَ
من فخّارها السكرانِ
ساعاتِ الأذانْ .
وسماءٌ يقطرُ التفّاحُ من أشجارها
تزكو على سفحِ الغروب العذبِ
والخرّوبُ يرمي في بقاعِ الأرضِ
لونَ الأرجوانْ .

-3-

طلعَ الصبحُ على العاصي* كتلويحِ الأقاحي !
صَحْو سكرانٍ بهِ من سُكرِ صاحِ .
أيها النائمُ فانهضْ من سباتِ الليلِ
واشربْ رشفةً من كأسِ نورْ !
إنما العمرُ شهورٌ تنقضي
بعد شهورْ .
لذّةُ الشربِ على العاصي صباحاً
والبساتينُ تدورْ .
طلعَ الصبحُ وفاضَ السلسبيلُ الحلو
في الأقداحِ ريّاناً
وقطّرنا معانينا من الصمتِ خمورْ !
أجملُ الأيامِ في أيلولَ
عصفورٌ يغنّي عاشقاً في السطحِ
والأقمارُ خضراءُ من الشهوةِ و الآسِ
و(حمصٌ) سهرُ العشّاقِ في العرزالِ
ما بين رياحينٍ وراحِ .
طلعَ الصبحُ على العاصي كتلويحِ الأقاحي .

العاصي : نهر العاصي في سورية

حنجرة العندليب

على شجرة اللوزِ
زقزقةٌ بين صبحينِ ..
طيرٌ تزوّجَ من زهرتيْ نرجسٍ
طفلتينِ
ونحلٌ غزيرٌ يعبُّ رحيقَ الزهورِ
ويشربُ منها الحليبْ .

على شجرةٍ في الخريفِ
كمانانِ منكسرانِ
وعشرُ أناملَ تعزفُ بالريحِ
أغنيةً للرحيلِ
وريحٌ مجرّحةٌ تركت قلبها
للنحيبْ .

على شجرة اللوزِ
ينبتُ برعمُ دمعٍ
فتسمعُ سقسقةَ النبعِ
ترشحُ من خلجاتِ الجرارِ
وتسمعُ قوقأةَ الخمرِ تملأُ
حنجرةَ العندليبْ .

على شجرة السنديانِ
أرى طائري زجلٍ عاشقينِ
يرفّانِ قلبًا بقلبٍ على عشِّ
روحيهما ..
ويحيكانِ بالزقزقاتِ
جراحَ الهواءِ المعطّرِ
والمطرَ المتقطّرَ من شهوةِ الأرجوانْ .

على شجرةٍ في الطريقِ
سحابةُ صيفٍ
سماويةٌ كحمامِ البحيرةِ في الأمسياتِ
تدورُ وتنأى

لتبصرَ أطيافها في مخيّلةِ الماءِ
بيضاءَ ، صافيةً ...
وتخبىءَ أوجاعها في حنايا الفرات العميق .

على جذعِ زيتونةٍ
يتألمُ قلبٌ قديمُ الكأبةِ
أعمى
ويسقطُ وجهٌ عجوزٌ على رجعِ لحنٍ
عتيقْ .

على شجرةِ الحورِ
ينشجُ نايانِ محترقانِ
وتلهجُ (أفواهُ عطشى)
بلعقِ دمِ الأبجدية من جرحِ شبّابةٍ
في الأغاني
وترتشفُ الدمعَ من كأسِ خمرِ الغروب

كروان الليل الورديّ

يا قديسَ النورِ الطالعِ من فوق سطوحِ
الدورْ !
يا قمراً يتلألأُ كالعنبِ الدامعِ
تحت عرائشِهِ البلورْ !
رُشَّ على القلبِ الأعمى قطراتِ النورِ
المُسكرِ كالرمانْ !
كي يتطهّرَ في بركةِ ضوءٍ ورديٍّ
كالكروانْ .
أنرِ العقلَ المظلمَ
كي يشربَ من منبعكَ الصافي
أيّلُكَ الظمآنْ !
فأنا مولودُ العتماتِ الأعمى
وصغيرُ الموت
أدقُّ على بابِ الدنيا الموصودِ
لقد طالَ الليلُ
أفيقي يا شمسَ النساك
لأرفعَ نفسي كرضيعٍ
نحو قناديلِ الصبحِ السكرانْ !
ما أجملَ أن يهطلَ في الصبحِ حليبُ الغيمِ
على الأشجارِ الرضّعِ في البستانْ !
وتفيضَ عيونُ الماء سكارى
وتطيرَ الطيرُ رفوفاً وفرادى ..
فطواويسُ لقاحٍ ،
وإناثُ بلابلَ زرقاءُ ،
وسربُ حساسينَ ذكورْ .
يا قمرَ الليلِ الساكنِ بين كنائسِ نورْ !
يا سُقْيَا نفسي المتصوّفةِ الليلاءِ ،
وريَّ الروحِ العطشى ، ونميرَ الظمآنْ !
أذبِ الروحَ الرهبانيّةَ
ذاتِ الحزنِ الربانيّ الصافي
كالنسماتِ الريحانيةِ فوق ملامسِ أزهارِ
اللوزِ
أذبها !..

صَيِّرْهَا ماءً لتسيلَ كحبرٍ أعمى
في أوقيانوسِ النورْ !
فانا لستُ سوى كوخٍ مهجورٍ في الليلِ
البائسِ
يسكنُ قلبي
مرفوعاً فوق ظلامِ الليلِ مسيحٌ مصلوبٌ
وبقربي ترقدُ يائسةً روحُ الإنسانْ !
مالي غيرُ نحيبٍ مقطوفٍ من ندمي الأسودِ
يغتصبُ الحزنَ الضائعَ في الروحِ
ونایاتي أوتارٌ تهتزُّ على صوتِ غرابْ .
منذ زمانٍ وأنا أستقبلُ أغراباً
وأودّع أغرابْ .
منذ زمانٍ وأنا أفتحُ أبواباً مغلقةً في الليل
وأغلقُ خلف جثامينِ الوحشةِ أبوابْ !
لا (أحد) يجلسُ قربي في أعمقِ ساعاتِ الصمتِ
سوى أنصابِ العزلةِ والغيّابْ !
ما لي امرأةٌ
بيضاءُ ترائيني
لأقول لها : يا بيضاءْ !
أيّ سماءٍ مزهرةٍ تتشعشعُ دامعةَ العينينِ على مرآكِ المسكرِ ،
أيّ ضياءٍ ضاحٍ يتقطّرُ من نهدِ سماءٍ عذراءْ ؟
ما أجملَ أن تتساقطَ من كفّيكِ
قطراتُ الطلّ الظمآنِ
على القلبِ
ولا يبلغ حدّ الإرواءْ !
يا بيضاءْ !
يا ذاتَ الإسمِ الناعمِ كالأضواءْ !
حلّي شلاّلَ غذائركِ السوداءِ على حزنِ العاشقِ
كي ينبتَ صدرُ العاشقِ نرجسَهُ المستاءْ !
يا سلطانةَ هذا الليلِ الآسيانِ
وجدولهُ الجاري في الروحِ
كسلسلةِ الأفراحْ !
أيُّ إوزاتٍ ظمآى تتلاقى عند حفافي النبعِ
وتخلعُ قمصانَ النومِ الشهّاءَ
لتسبحَ عاريةً في الأفقِ الفواحْ ؟
أيُّ أصابيعَ تتمتمُ في حزّ الشهوةِ
عند تلامسِ نهدينِ رضيعينِ ،

تفكفكُ أزرارَ الخضرةِ عن سرِّ التفاحْ ؟
فتذوبُ فيوضُ الليلِ بماءِ اللذّةِ كالصهباءْ .
مالي امرأةٌ لأقولَ لها :
صُبّي فوق الجسدِ العطشانِ ينابيعَ الماءْ !
صُبّي الماءَ وغنّي طاهرةَ الصوتَ
ليغتسلَ القلبُ من البأساءْ !
صوتكِ عصفورٌ مرتعشٌ يهتزُّ على أوتارِ حساسينِ الفجرِ
ويسكرُ بالموسيقى عند ضفافِ الماءْ .
صوتكِ ماءٌ ذابَ على مسمعِ نبعٍ ذوّابٍ ،
ونوافيرُ دموعٍ باكيةٌ تحت شبابيكِ الغرباءْ .
صوتكِ هزّاتُ مهودٍ تتأرجحُ بالأطفالِ الرُّضعِ في حقلِ مساءْ .
صوتكِ طيرُ سنونو يبكي خلف سياجِ المغربِ سحنتَهُ السوداءْ !
صوتك سكّينٌ يجرحُ حنجرةَ البلبلِ
في فردوسِ غناءْ .
غنّي لينامَ الزاهدُ في خلواتِ الليلِ
فقد حلَّ الصمتُ
ونامَ الذهنُ المتأمّلُ في الليلِ الأبيضِ شفّافاً
كإناءُ النورْ .
وتلاشى فوق شجيراتِ المغربِ إنشادُ العصفورْ .
يا قمرَ الوردِ المشرقِ من ظلمةِ نورْ ..
إفتحْ بابكَ للناسكِ
كي يجلسَ تحت مساءاتِ الحزنِ الزرقاءِ
ويصغي لتلامسِ أجراسِ سكوتكْ !..
لِيُكَوِّبَ كفّيهِ الضارعتينِ إلى مرآكَ
ككأسينِ صغيرينِ ..
فتمتلآنِ بسُكْرٍ أبيضَ
من مروى سَكَرَاتِكْ !
فأنا الصوفيُّ المتزمّلُ بالصمتِ
أشرّعُ شباكي الليليَّ على بحران الظلمات
وأصمتُ ذاكَ الصمتَ الصابي
في ظلِّ صلاتكْ .
فأرى درباً ذهبياً يمتدُّ بعيداً خلفَ مسافاتِ الغيم
فأشعرُعن يسراي وعن يمنايْ ..
تتهادى كقصاصاتِ الموسيقى الورديةِ
رنّاتُ نواقيسكْ .
لكأنَّ عصافيرَ اللوزِ تزقزقُ في صدري
ويسيلُ حليبيّاً لحنُ الحزنِ الذائبِ في همساتِ النايْ .

فأذنْ يا مولايْ !
للروحِ الثاكلِ
- روحِ الخاطىء -
أن تغرقَ في بُحْرَانِ سكوتكْ !
أن تشربَ من مدمعكَ الماطرِ عيناىْ !
شرّعتُ ذراعيَّ أمامَ الفجرِ طويلاً
لا طلعَ الصبحُ
ولا لاحتْ كحمامةِ برٍّ رؤياىْ .
مولايَ أنا منفردٌ في سُكناىْ .
مالي أمٌّ تبكي من نافذةِ المطرِ المذروفِ
لأجثو كيسوعٍ تحت مدامعها
وأبوح بصوتٍ (آسيانٍ) يا أمَّايْ !
يا أيُّوبَةَ قلبِ الندمِ الجاثي
كسراجٍ قربَ جراحِ الناسْ !
أأظلُّ أهزُّ سريرَ النايَاتِ الناحبةِ النغماتِ
لتغفو الروحُ
فلا تسكتُ أغنيتي
أو يهدأُ للغفوةِ نايْ
يا أماىْ !
صوتُ آذانِ المغربِ يبكي في الأفقِ الصامتِ
ويسيلُ حزيناً رجعُ نواقيسِ القدّاسْ !
وأنا المنحوتُ كرسمٍ باكٍ فوق نعوشِ الفجرِ ،
يتيمُ الميتمِ ..
من يشعلُ في الآحادِ ضلوعَ الشمعِ لراحةِ نفسي
أو يزرعُ فوقَ ترابِ الميتِ
غصينَ الآسْ ؟
من يسقي روحي الظمآى من منبعهِ الصافي
سُقيا السلوانِ
لأنسى نفسي في أسماءٍ سواىْ ؟
يا أماىْ !
يا قنديلَ الحزنِ الدامعِ في ليلِ الغربةِ
قطراتٍ .. قطراتْ !
قطّرْ فوق فؤادي النادمِ
أحزاناً وصلاةْ !
فأنا لم أتسببْ بالحزنِ إلى (أحدٍ)
غير دماغي المتعبِ
ويتيماتي الكلماتْ .

فلماذا تبلوني الأشعارُ وأبلوها
وأنا أبصرُ كلماتي تتألّمُ في نظراتِ الباكينْ ؟
أتكونُ حياتي
حبل غسيلٍ مشدوداً بين مغيبينِ غريبينِ
تلوحُ عليهِ ثيابُ أناسٍ مجهولينْ ،
ومناديلُ نساءٍ قدّيساتْ ؟
تشربُ آهاتي الريحُ ، وتذروها كالورقِ الميتِ على مثوايْ !
يا أماي !
حزنكَ شفافٌ ، أصفى من دمعِ العتمةِ ،
عذبٌ وبريءٌ وطهورْ !
حزنكَ مبخرةٌ تهتزُّ على ساقِ الصمتِ
فترشحُ عطراً باكٍ ، وأريجَ بخورْ . .
حزنكِ كلماتٌ تتدلّى كمصابيحِ الوحشةِ فوق أماسي النورْ ..
حزنكِ ماءٌ رحمانيٌّ
يهطلُ كالصلواتِ على صدرِ الناسكِ
من قلبِ مسيحِ النورْ ..
يا مرضعةَ الروحِ لبانَ معاطشِكِ الناضبِ
دمعةُ ثديٍ هرّتْ فوقَ يديَّ كزهرةِ لوزٍ طاهرةٍ
فبكى الأطفالُ الرضعُ في القلبِ الظمآنْ !
وأنا الكهلُ ، الطفلُ ، الآثمُ
خدينُ العزلةِ ..
حزني طائرُ صيفٍ برّيٍّ
يسبحُ تحتَ سماوات الفجرِ رضيعاً سكرانْ .
كلّ مساءٍ أتامّلُ موتي في المرآةِ
فلا هجعَ القبرُ
ولا وقفتْ في وجهي الصلبانْ .
أأظلُّ وحيداً أجلسُ كالراهبِ في حيدٍ صخريٍّ
وأحدّقُ مكتئباً في أفقِ الخسرانْ ؟
تأفلُ خلفي شمسٌ ميّتةٌ
وأمامي يفغرُ فمهُ الشبحيَّ
ضريحٌ مهجورْ .
يا صاحبَ مصباحِ النورِ العالي
أسكرْ باصرتي بالرؤيا
وارفُ جراحَ الروحِ بخيطانِ النورْ !
فلقد أظلمتُ وشيّختُ وأدبرتُ
أنا المتألّمُ كالريحِ على الأطلال
أهدهدُ حلماً ميتاً في الظلماءِ ،

وأغمضُ كالغاربِ جفنيَّ إليكْ .
خذني دوريَّاً مرتعشاً ، بردانَ وحوعانَ
لأنقر حبّاتِ الحنطةِ من أعشابِ يديكْ !
خذني عندَ شيوعِ الظلمة في دنيا الأمواتِ
لأذرفَ جمراتِ عيوني
في مجمرِ عينيكْ !
ما أجملَ أن تتلامسَ عند أفولِ الكونِ الرحمانيّ
أيادي الناسِ المرفوعةِ بحثا عن لحظة حبٍّ
بأصابيعِ يديكْ !
ما أجملَ أن يتقطَّرَ دمعُكَ في أعيننا
تقطيرَ العسلِ السكرانْ !
وتفتّحَ أزهارُ الشمسِ على قمصانِ الغيمِ
صباحاً ..
وتصيرَ الأرضُ الثكلى قزحاً من ألوانْ !
ما أجملَ أن تتراءى من نافذةِ الحزنِ البيضاءِ
جميلاً كالعصفورْ !
يا قمرَ النور أنرني ،
أنرِ العاشقَ بالنورْ !
أنرِ الأرضَ المظلمةَ العمياءْ
بفيضٍ من مرآكَ ،
ارفعها كالمتألمةِ العذراءِ
إلى ضوءِ سراجكَ لتراكَ ..
وتمسحَ بالكفّينِ مسيلَ الدمعِ الهاطلِ من ينبوعِ أساكْ !
أنرِ الأرضَ الموحشةَ ، القفراءَ
لتهدأ وحشتها تحتَ مراياكَ ،
ويسكتَ في الأفقِ المتعبّدِ
ناقوسُ الندمِ المكسورْ !
وارو براريها العطشى بحليبِ الصبحِ
المتساقط من حلماتِ الكونِ النوراني
لتلقمَ كالزهراءِ فمَ العاشقِ ثديَ الأملِ الملآنْ !
ما أحزنها..
راقدةٌ في مهدِ الليلِ
ترتّلُ مرثيّتها الأبديّةِ جاثيةً في جذعِ مصلاّك !
.. واقفةً ..باكيةً ..
قدّامَ عذاباتِ المصلوبِ
ترائيها رؤيا مذهلةُ النورِ
فتصرخُ : ما أحلاكْ !

وبراحتها الزيتونيّةِ تلمسُ جرحَ المصلوبِ
فيرتعش الجرحُ
ويجري دمهُ الزاهرُ كالماءِ طهورْ
* * *
يا قديسَ الليلِ السهرانِ على جدولِ نورْ !
يا قمرا يتلألأ كالعنب الدامع تحت عرائشه البلّور
رُشَّ على القلبِ الأعمى قطراتِ النور !

كطلعة شمس على ساقيه

أزرقاً ينعسُ البدرُ فوق الغديرِ ...
مذهّبةَ اللونِ تشرقُ شمسُ الصبيحةِ
مع زقزقاتِ العصافيرِ بين الغصونِ ...
وتبزغُ كالمزهريّةِ شفّافةً من قداستها الصافيهْ .

وكطلعةِ شمسٍ على ساقيهْ ...

لاحَ لي وجهُ تلكَ الصبيّةِ
وهو يطلُّ كزفّةِ سربٍ صغيرِ البلابلِ
مع جهجهاتِ الأهلّةِ في ناظريَّ
وغفوةِ نهدِ السماءِ المدوّرِ في الظلمةِ الصاحيهْ .

لاحَ أجملَ من زهرةٍ تتشرّبُ ماءَ الشروقِ المذهّبَ
تحتَ سماءٍ حماميَّةِ الغيمِ،
أصفى من الخمرِ في الآنيهْ !

لاحَ لي النورُ مثل الإوزّةِ ذات الجناحينِ
وهي تحلّقُ مائيّةَ اللونِ فوق البساتينِ
لاحت عرائسُ لوزٍ مكلّلةٌ بزهورٍ من النورِ ،
والأرضُ بيضاءَ ، مطويّةٌ كقماطِ الطفولةِ
فوقَ السفوحِ
مشارقُها العاطره .

فاستحالَ الهواءُ إلى هدهداتِ ضفائرَ مضفورةِ الخصلاتِ
استحالَ السحابُ إلى مطرٍ (أبيضٍ) للرضاعةِ
ما بينَ قلبينِ طفلينِ ..
والثلجُ فوق رؤوسِ الصنوبرِ (أكوازُ) من شهوةٍ مسكرهْ !

واستحلتُ إلى بلبلٍ سابحٍ في نسيمِ الأنوثةِ كاللحنِ
روحي تحلّقُ مثلَ الفراشةِ نشوانةً بالحفيفِ
وقلبي الصغيرُ استحالَ إلى قبّرهْ .

لا النسائمُ بعدُ استفاقتْ رياحينُها في الشبابيكِ
كي تتنفّسَ أرواحُنا كالقطاةِ

ولا صوتُ فيروزَ صلّى الصبيحةَ
مع شقشقاتِ التباشيرِ
لكن سمعتُ صدى صوتها البلبليّ البعيد
استماعَ الغصونِ إلى صوتِ عصفورةٍ في السهولِ
فراحتْ ترفرفُ في شهواتي الفراشاتُ
والآسُ يلسعني بدبابيسهِ الخدره .

رشفةً رشفةً
تنهلُ القبّراتُ لبانَ الزهورِ
وترفعُ نحو السماءِ مناقيرها
لتغنّي إلى اللهِ
والريحُ مفعمةٌ بالرحيقِ
تهزُّ الغراسَ فترقصُ أجراسها
فوقَ صلبانِ أجسادها العاطرهْ .

باكراً يتلألأُ مرآى الغصونِ التي يتدلّى سفرجلُها ناضجاً كالنهودِ
ورفُّ الطيورِ التي سكنتْ كالثمارِ صدورَ الدوالي
يزقزقُ مثنى .. ثلاثاً .. وأعشارَ
تملأُ أصواتها بالأغاني سماءَ الأملْ .

باكراً تتراءى ليَ الشمسُ عيناً مقدَّسةَ الحزنِ ،
حمراءَ سكرى كقرصِ العسلْ !

باكراً تستهلّ الطبيعةُ أوقاتها بالوقوفِ دقائقَ حبٍّ
على النهرِكالمصطفاةِ
وتأتي الصبايا الصغيراتُ
كي يقتطفنَ زنابقَ من شهوةٍ وحليبٍ
ويودعنها صدرهنَّ الرضيعَ ..
وتأتي النساءُ الصبيّاتُ كي يغتسلنَ على مشهدٍ مشمسٍفي الربيعِ
ويمنحنَ أجسادهنَّ بياضَ السحابِ الشهيّ
ومن منبعِ النبعِ يُرضعنَ أثداءهنَّ مياهَ الأسى الصاديهْ

والعرائسُ كي يسترحنَ على حجرِ البئرِ مثلَ القطيّاتِ
أو يستحلنَ إلى سوسناتٍ على شفةِ النبعِ ...
كي ينغمسنَ بماءِ الغيومِ
ويفرغنَ جوفَ الخوابي من الحزنِ ،
يملأنها بالمياهِ التي يُشربُ الدمعُ منها

وتأتي فتاةٌ لتبصرَ صورتها المشتهاةَ
يذوّبها الدمعُ في نبعِ ماءٍ صبيّ
فترجعُ ضاحكةً ، باكيهْ !

وتغنّي بصوتٍ صديٍّ على مسمعِ النهرِ
أغنيةً عن أنوثتها المشتهاةِ
فتشرعُ بالزقزقاتِ سنونوّةٌ من صلاةٍ
وتغدو الحروفُ عنادلَ غرّيدةً
في فراديسها الباكره .

وتذوقُ بعينينِ مغمضتينِ
عذوبةَ صبح تعزُّ على الوصفِ
حيث السطوحُ التي تتلامعُ خضراءَ عندَ الشروقِ
وراهبةُ الكستناءِ ترشُّ النبيذَ المقدّسَ
فوق غراسِ الضحى الغافيهْ .

كانَ فجراً جميلَ الطفولةِ
أزهارهُ باقةٌ من شموسٍ
تفتّحُ زهريّةَ اللونِ كالجلنارِ
دواليهِ يانعةٌ تتدانى عناقيدُها بتشهٍّ
ومن كلِّ برعمِ وردٍ
تشعُّ قطيرةُ ضوءٍ
وتسقطُ في الماءِ كالدمعةِ الباكيه !

كنتُ أشربُ نسغَ الثمارِ التي
انعقدتْ كالثريّاتِ في أضلعِ البرتقالِ
و أجلسُ تحتَ نهودِ الدوالي
لألمسَ أثداءها بالكؤوسِ
فتدمعُ في الكأسِ قطراتها الصافيهْ .

هذه الأرضُ رائقةً تتألقُ
سكرى برائحةِ العشبِ
ترشفُ مثل الوليدةِ من رعشاتِ الغيومِ منيَّ المطرْ ..

والسماءُ التي تتراءى لباصرتي كالبحيراتِ
سجّادةً من مروجٍ مطعّمةً بالشقائقِ ،
والطرقاتُ جداولَ مملوءةً بالحليبِ ،

وظلُّ السحابةِ مسترسلاً في أديمِ السواقي
يرفرفُ مثل طيورِ القطا في خيالِ النهرْ .

طائرَ البحرِ يا قلبيَ العاشقَ الشمسَ
ذابتْ شموعُ المغيبِ
فَضُمَّ بجنحيكَ وجهكَ واغفُ
ستصعدُ شمسُ الصبيحةِ كالبرتقالةِ من بئرها بعدَ حينٍ
وتملأُ أسماعنا سقسقاتُ الحساسينِ
ممزوجةً بحليبِ المطرْ !

لكأنَّ سماءَ الأنوثةِ سكّرةٌ لا تذوبُ سوى
في سواقي الصبابةِ أو تستحمْ .

وكأنَّ الطبيعةَ أمٌّ

تبذلُ اللوزَ من صدرها العذبِ للعندليبِ الرضيعِ
وتلقمُ أثداءها للبراعمِ
كيما تفوحَ بتفّاحها الحلوِ في كلِّ فمْ

المرآى المصفّى للأنوثة

لابدّ من زيتٍ
تضيء ُبهِ الأنوثةُ ذاتها
ليصيرَ ضوء ُجمالها
مسرى العيونِ إلى جمالِ النورِ
في رؤياهُ
والمرآى المصفى للأنوثةِ
في تفتّحها على الرمانِ
مثل (زنابقٍ) سكرى
يفوحُ عبيرها
فوحانَ زهرِ الكستناءْ !
لا بدّ من قزح
يعلمنا الرحيلَ الغيهبيّ
إلى خيالٍ هادىءِ الرؤيا
كظلِّ سحابةٍ في عينِ ماءْ !
لنصيرَ ماءً في أغاني الحبّ
تشربنا شفاهُ حمائمِ الإنشادِ
وهي تطيرُ من معنى إلى معنى
لنبصرَ في صفاءِ النبع صورتنا
كموجةِ نرجسٍ زرقاءَ
تلعبُ كالسنونو في مخيّلةِ السماءْ .
لا بد من نهرٍ صغيرٍ
لاغتسالِ صبيّةٍ بلغتْ تمامَ جمالها
في عامها العشرين ..
والأمواجُ تكرجُ مثل أقواسِ النبيذِ إلى العنبْ .
لتفوحَ كالتفّاحِ في المجرى الرضيع
روائح ُالأزهارِ
والمطرُ المصفّى من حليبِ الغيمِ
يهطلُ فوقَ أجراسِ الذهبْ .
لا بدّ للناياتِ من شفقٍ حليبيّ
لترضعَ من مدامعهِ الأغاني
و هْيَ ترفعُ صوتها
مثل البلابلِ فوق أسلاكِ الغناءْ .
لتصيرَ كالأطياف عذراءٌ
يطرّزُ صدرها الملسوعَ بالأزهارِ

عصفورٌ غزيرُ الدمعِ
أو تعزيمةَ العشاقِ للذوبانِ في ماءِ العذوبةِ
يسكرُ النعناعُ في أقداحِ عينيها الصبوحةِ
وارتعاشُ أناملِ الرمانِ
يشربُ رعشةَ النهدينِ عند الانتشاءْ
لا بدّ للفتياتِ من ليلٍ حجازيّ
ليشهدنَ ازهرارَ شقائقِ النعمانِ
فوق ربى الجرودِ
ويقطتفنَ البرتقالةَ من ضياءِ البدرِ
أو ليصرنَ أكثرَ شهوة من مشتهى الريحانِ
قبل القطفِ
أعذبَ من قراحِ الخمر في قدح المساءْ .
لا بد للأيامِ من صوتٍ حدائيٍّ
لتدركَ أحرفُ المدّ الطويلةُ حزنها
لضياعِ مدّ الصوتِ في الصحراءِ ..
والألفُ الذي يترعرعُ الفقراءُ
تحت نحيبهِ البدويّ
حصّتُهُ وحشتي من هذه الدنيا
وصومعةُ النداءْ .
لا بدّ من إيماءةٍ
لنرى ظلاماً زاهراً في الليل
أو قديسةً بثيابها البيضاءِ
ماسكةً إناء النورِ في ضوءِ الهلالْ .
لنرى ازهرارَ الشمسِ
في الفجر الحليبيّ الطلوعِ
كأنها امرأة
تشقُّ قميصها عن صدرها المبيضّ
مرضعةً بماءِ الشهوة المذروفِ
مولودَ الخيالْ .
لا بدّ من شجرٍ عجوز في حواكير الرياحِ
يعيدنا لتذكّرِ الموتى
لنجلسَ ساكنينَ ، محدّقينَ بآخرِ الأسلافْ !
شجرٌ ..
لنسمعَ خاشعينَ (جدودنا الرهبان)
في تنويحةِ الزيتونِ تحت الريحِ
والصمتَ الجريحَ لحزنِ جدّتنا
التي لبست قميصَ الحورِ خلف مواسمِ الصفصافْ .

لنميلَ نحو ظلالِ ماضينا على الجدران
كي نتفقد الماضي المخبّأَ في جرار العمر
قبل رحيلنا عن هذه الأرياف ْ .
لا بدّ من طلليّةٍ
تتمايلُ الناياتُ في شطآنها الظمآى
لنعتنقَ التماثيل التي آلت إلينا في كهولتنا
لندركَ أننا غرباء ..
نبحثُ في المغاربِ عن مطارحَ لم نساكنها
وعن ناس أحبُّونا
وظلوا في بياضِ العين كالأطيافْ .
لا بد من ليلٍ
ليبصرنا ضياءُ الحزنِ في قنديل راهبةٍ
تقدّسُ في الظلامِ سكينةَ الأسلاف ْ .

حوارية المراثي

المراثي حوارٌ مع الموتِ
ما بين شخصينِ مفترقينِ
بصيرٌ وأعمى
وحيٌّ وميتْ .
والمراثي حوارُ المعزّينَ مع حزنٍ من رحلوا
رافعينَ بأصواتهم نجمةَ الموت فوق المساءِ
كشاهدةٍ من بكاءٍ وصمت ْ .
كفكفي الدمعَ يا امرأةَ العزلةِ الباكيهْ !
كفكفي الدمعَ كلُّ الأحبّةِ ينسحبونَ
سوى الموتِ يحرسُ جبّانةً فانيهْ !
وأصيخي إذا جالَ طائرُ صمتكِ
فوقَ قبورِ المساءْ ..
لتألّمِ قلبِ المواويلِ
بعد ارتحالِ المعزّينَ والغرباءْ ..
حاملينَ تصاويرَ من أسبلوا كالتماثيل أذرعهم
وتدلّوا بأسمائهم كالبطاقاتِ
من حائط النعواتْ
حاملينَ بأخيلةِ الحزنِ
لونَ العيونِ التي رات النورَ يوماً
وأغمضها الموتُ ..
كانوا فبانوا

وصاروا ظلالَ صلاةْ .
فأصيخي إليهم إذا ضاع بين التراجيع
صوتٌ بصوتْ !
فالمراثي حداءٌ يردّده النعيُ
في كل بيتْ .

وداعيّة الأسلاف

يا ساكناً فوق الترابِ
لترحمِ الأيامُ روحكَ عندما يأويكَ في ظلمائهِ قبرُ
ولتنزع الأيامُ قلبكَ من كآبتهِ المريرةِ حين لا يجديكَ في خسرانها صبرُ
رحلَ المحبونَ القدامى مسرعينَ
كأنهم بعض الغيومِ
كأن جلَّ حياتهم شهرُ
رحلوا سريعاً لا روينا من محبتهم
ولا من حزننا سكروا
عاشوا على شرفاتِ وحشتهم كرهبانِ الخريفِ
يقلّبونَ الريحَ بين أكفهم
والدمعُ بين جفونهم مرُّ !
أمضوا السنينَ يجادلونَ الليلَ في أعمارهم
بُحَّتْ أغانيهم وظلَّ الليلُ تحت خيامهم سرُّ
هم أجملُ الناسِ الآلى غابوا
وأجملُ من على ديّارةِ العشاقِ قد مروا
كانوا إذا طلعَ الهلالُ تأمّلوهُ بأعينٍ سكرى
ومن آلائهِ الصهباءِ صبّوا الخمرَ أو عصروا
البحرُ في حزنِ الغروبِ مسافرٌ
وهبوهُ أشرعةً ولاحت من أياديهم لهُ صورُ
كانت ليالي الصيفِ بستاناً لسهرتهم
بنوا عرزالهم في الليلِ كالموتى
وعن سهراتنا اعتذروا
ما كانَ أكرمهم على أوجاعِ هذي الأرضِ
كانت كالسحابِ جباههم
جفَّ الترابُ فأمطروا دمهم
ولم يدروا
جلسوا على شطآنِ وحشتهم
وظلّوا بانتظارِ الريح
حتى أقبلتْ سفنُ المنيّةِ نحوهم
مخروا عبابَ البحرِ وانتحروا

سنونوة من زبد

لن يرى شمسها بعد هذا الأفول أحدْ
إنّ أسماء تسكنُ أُحْدِيَّةَ الليل
مثلَ غناءٍ نفدْ .
لم تعد مثل كلِّ الصغيراتِ
فرحانةَ الروحِ ..
مثل القطيّاتِ من مشربِ النبع ..
مثل هلال السكينةِ
من شهر صومْ ...
كي تنامَ على راحتيْ رحمةٍ
ترشحانِ
رحيقاً وورْدْ .
رهَّبتها التراتيلُ
كالمريماتِ وراءَ ليالي الأحدْ .
إنّ أسماءَ سكّرةٌ
ذوبتها الحلاوةُ في مرٍّ فَمْ !
رحلت كالسنونو وراءَ خريفِ العصافيرِ
تاركةً قلبَ أمٍّ
زاهداً في سماءِ التوابيتِ
يبكي ظلاميّةً لا تحدٌّ .
والأمومةُ
ذاهلةُ النفسِ
في سكراتِ الأسى المدلهمٌّ
قلبُ أمٍّ
...رائياً في الظلامِ العميقِ جداولَ دمْ !
تتوجّعُ أوجاعهُ في الجراحِ
كطبلٍ يدقُّ قلوبَ الليالي
وحنجرةُ الأرض تنشجُ داميةَ الصوتِ
تحتَ الرياحِ الحددْ
لم تعدْ
والمغيبُ يخطُّ بسكّين مدمعهِ
اسمَهَا العذبَ
فوقَ الرخامِ الأصمٌّ .
أتموتينَ يا أعذبَ الزهراتِ

سقتكِ الأيادي الشفوقةِ
من دمعاتِ معاطشها
قطراتِ الندى والبَرَدْ !
أتموتينَ تحتَ ازهرارِ الهلالِ الرضيعِ
وصدرِ السماءِ الحليبيّ
ظمآنةً كسنونوةٍ من زبدْ .
يا بناتَ المدارسِ
يا لابساتِ المراييلِ في فجر عيدْ !
واقفاً فوقَ مئذنةِ الفجرِ
حرفُ النداءِ ينادي بصوتٍ مديدْ
:أينَ أسماءَ ، ألغوزةُ الموتِ ،
بنتُ المراثي التي جعلتها الصلاةُ
لقداسنا صومعهْ ؟
-حملتها الرواحلُ في طرقاتِ الخريفِ
وما من رواحلَ من صوبها راجعه .
فيردّدُ رجعُ الصدى من جديدْ
وهبتها المنيّةُ أجنحةً كي تحلّقَ
تحت الغيومِ كطيرٍ شريدْ .
يا سوادَ الخليقةِ
يا كلَّ شمعه ..
تتضوّأ كيما يصيّرها الليلُ دمعه ..
يابنات الطفولةِ هلاّ
بكيتنَ مرآى رفاتِ
القرنفلة الدامعهْ ...
هل أقمتنَّ مندبَ حزنٍ
على الميتةِ المتألّمةِ الجائعه ؟
يا أمومةَ هذي الحياةِ
المهودُ الصغيرةُ فارغةٌ
تتأرجحُ في عتمةِ الليل
ضائعةً ..ضائعه
والنواعيرُ مرضعةُ الحقلِ
تبكي مراضعها الجافّةِ الموجعه .
هدأت وحشةُ الريحِ
وانتشرَ الليلُ
لا شيءَ غيرُ الكآبةِ
تلعقُ أعضاءها بلسانِ الدموعِ
وقلبُ السماءِ الحداديّ

يسقطُ في شاطىءِ الموتِ
كالبجعه
رحلتْ كالأغاني الحزينةِ
في مسمعِ الريحِ
لا الصيفُ عادَ بها من قطافِ
الكرومِ
ولا تركتْ قلبها للغريبْ .
إن أسماءَ طيرٌ سنونو
يحطُّ على حجرٍ (أبيضٍ) في المغيبْ
يتطلّعُ في الأرضِ خلفَ الجهاتِ
فيلقى البساتينَ كلَّ البساتينِ
دونَ حليبْ

حجر المراهقة القديم

محدودبٌ قمرُ الغروب
على مسيلِ الماء .. ..
مكسورٌ نداءُ الأبجدية
في مجاهيلِ الأفولِ ..
ووحدهُ الليلُ العميقُ
بصمتهِ المدفونِ في الأغوارِ
ينهضُ من حداءاتِ المطارحِ
عند ساعاتِ الهجوعْ.

والشمسُ قنديلٌ لراهبةٍ
تحدّقُ في نهاياتِ البحيرة
حيث يغتسلُ الغريبُ بمائها الرقراق
والباكي يذوّبُ نفسهُ
مثل الدموعْ .

حَدَدٌ وتاريخٌ من الندمِ الطويلِ
على فوات العمرِ
يرفعهُ غناءٌ دافقٌ بالدمعِ والنبراتِ

من عشق وجوعْ .
فاسمعْ وجيبَ الروحِ يقطرُ
من طَوَاحِ النايلِ
الطوّاف في الأعماقِ ،
رجعَ الميمرِ الموّارِ بالأشواقِ
من جورِ الزمانِ على القلوبْ !
واسمع شهيقَ
الريحِ في القصبِ الجريحِ ..
تكافحُ النايات في أفق المواويل الذبيح
مصيرها الأعمى
فتنشقُّ الصدورُ عن القلوبْ .
معتلّةٌ في الليلِ أصواتُ المحبينَ
اعتلال الناي في الموّالِ
والصرخاتُ تطلقها حناجرُ هرّأتها الريحُ
في وجهِ السآمةِ
مثل ضوضاءٍ على القفر الكئيبْ .
لا زهرةَ الياءِ النديّة
رعرعتها الأبجديّةُ في الحداءِ
ولا استحالَ الصوتُ عاصفةً من الأوتارِ
بل صوتٌ تصعّدهُ من الجمّارِ أفئدةُ النحيبْ .
صوتٌ يصعّدهُ العذابُ
من احتكاكِ الموحشينِ
- الدهرُ والليلُ -الضرير على الصليبْ
كانوا جرارَحنينهم للماءِ
والغدرانُ مسراهم
إذا ذهبوا إلى النسيانِ
كانوا يشتهونَ الدمعِ في الرمانِ
والأنثى مصفّاةً كماءِ العين ،
مسكرةً كصوتِ العندليبْ

أينَ القرى ذاتِ النجومِ السمرِ
في سفح الطفولةِ
والمآذنُ وهي ترفعُ من حناجرها
عذاباتِ المغيبْ ؟
كسحابةٍ جفّتْ ولم ترضعْ براريها
حليبَ الدمعِ
جفّ النهرُ أو نضبْ من الدمعاتِ

روحُ الأرض وانصرفَ الرجالْ

لم يبقَ من ذاك الزمانِ
سوى نساءٍ ناحلاتِ العودِ
لاامرأةً لترضعَ قلبي الظمآن بالغصّاتِ
لا زهراءَ تخلعُ ثوبها عن نفسها
لتسيرَ عاريةً الى الينبوعِ
في قلب الظلالْ
لا مهرةً لتجرّ بيداء الطفولة طفلها الذئبيَّ
نحو منابت الصبّارِ
كي تسقيهِ ماءَ عيونها الغرقى
ولا نشّابَ كي ينشكّ
سهمٌ طائشٌ التصويب
في كبدِ الخيالْ .
أينَ الغديرُ وماؤهُ الجوفيّ
بين أجنّة الليمونِ
والجاري كجرحٍ زاهرِ الرمّانِ
في جنباتِ واديِ العشقِ ؟
أين القبّراتُ الهائماتُ مع المغاربِ
والبساتينُ التي انحدرتْ حفافيها
إلى الوديانِ مفرطةَ الجمالْ ؟

لا شيءَ غير حمائمِ الآبارِ
تخفقُ في فضاءٍ غابرِ الأحلامِ
والأطيافُ تحملها على إبرِ الدموعِ
(غياهبٌ) مكفوفةُ الرؤيا
لتلقيها إلى شمس الزوالْ .

لكنني مازلت أبصرُ عند ذاك المواردِ الظمأنِ
حاءَ الحزن حادبةً
على حجرِ المراهقةِ القديمِ
وطائرٌ باكٍ يقدّسُ
عند مجرى الحزنِ وحشته
ويطبقُ جانحيهِ على رمادِ الذكرياتْ .

مازالَ حتى الآن عطرٌ أنثويّ
فائرُ الشهواتِ

يطفحُ من تماثيلِ النساءِ العارياتْ .

مازالَ يبزغُ رائعاً قمرُ العذوبةِ
حيث تغتسلُ الأنوثةُ في سماءِ دموعهِ
من حزنها الشفافِ ،
و الأنوارُ ترشحُ من ملامحِ وجههِ
الورديّ فوق القبراتْ .
وروائحُ منحلّةُ الصابونِ
تسرحُ كالفقاقيعِ الصغيرةِ
بين غصّاتِ المياهِ
وصوتها المنسابُ كالأجراسِ
في الأسماعِ
والمنحلّ ُكالأملاحِ في موجِ الحنينِ
إلى الغيابْ .
لكأنّما الغدرانُ مرآةٌ لحزنِ النسوةِ الشفّافِ
للجسدِ الملوّنِ بالبياضِ الطلقِ
في لمعانهِ الأخّاذِ تحت الشمسِ
تبصرُ طيفها المحنيَّ كالصفصافِ
فوق دموعه
فيسيلُ أبيضُ صدرها المعجون بالصبواتِ
كالماء الرضيعِ على حصاةِ المشرب الصافي
ويرشحُ من تشهيها رحيقٌ
عاطرُ الشهواتِ فوق دم الترابْ .
لكأنما الغدرانُ تسرحُ من ضفائرِ عاشقاتٍ
في مهبّ الموجِ هادلةً
ورائحةُ الغديرِ تفوحُ بالشهواتِ
لا بالماءِ
والأشواقُ تقطرُ من أصابعَ سمّرتها الشمسُ
كالأكوابِ في ماءِ الغيابْ .
لكن إنشاداً حليبيّاً
لطيرِ النشوةِ المنسيّ
يبزغُ كانبلاجِ الفجرِ من رحمِ الشروقِ
ليملأ المجرى بأصدافِ الحصى الصافي
ويلمسَ كالشعاعِ العذبِ غاباتِ الحليبِ
المستحمّةِ بالضبابْ .
فيحدّقُ العشاقُ
_يبكي بعضهم بعضا _

بأصنامِ الرجالِ الجوفِ فوقَ مطارحِ الأسلافِ
بالندمِ المعلّقِ فوق صفصافِ الطفولةِ كالغرابْ .
فتقومُ امرأةُ الصباح بصدرها المغرورقِ الأمواج
كالشمس الصبوحِ
وقد تورّدَ وجهها المحمرّ ُبالرمانِ
فاتحةً ذراعيها لترفعَ طائرَ الإنشاد
فوق دم الخرابْ .
و يجيءُ عشاقٌ لهم نفسُ العيون
لينفخوا الأنفاسَ في طمي الطفولةِ
علّهم يحيونَ ما أفلتْ بهِ شمسُ الشبابْ .

النداء بأحرف المدّ الطويلة

الموتُ والمأوى
بحيراتُ الغروبِ
وحزنها الجوفيُّ في الآبارِ ..
غربةُ طائرٍ مترهّبٍ في آخرِ الأنهارِ
والشمسُ الجريحةُ مثلَ خيطٍ من دمٍ متكسرٍ
في نبعِ ماءْ.
* * *
والليلُ ليلى
حينَ يقطرُ صمتهُ الدمعيَّ في أيقونةِ الإصغاءِ ،
والقمرُ المطلُّ على سفوحِ الكون
من قدّاسهِ العالي..
ترقرقُ كهرباءُ الغيمِ نبضَ رنينه
ضوءاً حليبيَّ الضياءْ.
* * *
هيَ شهوةُ الآهاتِ في ذوبانها الشهويِّ،
والياءُ الصغيرةُ في تَشَهّيْهَا
وواوُ الموتِ ،
والألفُ الذي تسقيهِ كأسَ الموتِ في الموّالِ
أفئدةُ النساءْ .
* * *
وهيَ النداءُ الهدهديُّ
على انبلاجِ سحابةٍ من غابةِ الرؤيا،
ورجعُ أنوثةِ الكلماتِ في قاموسِ عذريّينَ
منحدرينَ من حزنٍ سماويٍّ ،
ومن مبكى حروفِ العلّةِ العطشى
مساءً تحت قنطرةِ الحداءْ.
* * *
أتكونُ إمرأةً كهذا الغيمِ
تعصرُ شعرها المبتلَّ فوق الصبحِ ،
والصدرُ الضريرُ بناهديهِ الظامئينِ
يفوحُ كالتفاحِ في شهواتهِ البيضاءِ ..
أم نقشٌ على حجرٍ
تدحرجهُ الرياحُ على جرودٍ نائيهْ ؟

* * *
لتصيرَ أجملَ لفظةٍ في العشقِ أجراسُ اسمها البدويّ ،
ريحانُ البلاغةِ في كنايتها البعيدةِ ،
والغناءُ بأحرفِ المدِّ الطويلةِ
في مجاهيلِ الجهاتِ..
يقولها وَلَهَاً وينتحبُ المحبّونَ الأوائلُ ،
من غدوا خلف النوافذِ كالشموعِ الرائيه .
* * *
وتكافحُ النایاتُ غصَّتها المريرةَ
حيث تبحرُ باسمها المبحوحِ في قصب الصدى ؛
ليهيجَ كالأمواجِ في شجن الصحارى..
طائفاً كالريحِ في وادي الرمالِ ،
ولافحاً بالشوقِ أوجاعَ القلوبِ الفانيهْ .
* * *
يا ليلُ ليلى العامريةُ لم تمتْ يوماً
ككلّ الناسِ بل صارتْ رسوماً
من خيوطِ الدمعِ تنسجها الميابرُ في المحارمِ
كانهمالِ الشمسِ من كفِّ البصيرةِ
في المساءْ !
* * *
وبكلّ شرفةِ منزلٍ هيَ نرجسٌ باكٍ
يكفكفُ دمعَهُ ماءُ الإناءْ .
* * *
آلتْ أنوثتُها إلى الشعراءِ
حتى أصبحت لغزَ الوجوهِ الأنثويّةِ في رهافتها
وصارَ خيالها الحاني
قصاصاتٍ من الأطيافِ حائمةً
تهدهدُ في ليالي الأبجديَّةِ
أحرفَ الرؤيا الصغيرةَ بالغناءْ .
* * *
أيكونُ للشعراءِ أن يتأملوا
في الماءِ طيفاً أنثويّاً عارياً ،
أو يبصروا عند المغيبِ جمالَ وجهٍ شاحبٍ
وهبتهُ أوجاعُ الطبيعةِ حزنها الصافي
وضمّتهُ شقائقُ من دماءْ ؟
* * *
لكأنّ أحداقَ النساءِ منيَّةٌ بيضاءُ للعشاقِ

في أبديّةٍ ثكلى ،
وبئرٌ غائرٌ في الروحِ ننظرُ في غيابتهِ
لندركَ أننا غرباءُ هذي الأرضِ
أحفادُ العذاباتِ ،
الأشقاءُ الحزانى للجمالِ
فكلما حدّقتُ في عينينِ ضائعتينِ
زايلني الشعورُ بأنني راءٍ
يشاهدُ في ظلامِ البئرِ وجهَ الموتِ
يلمعُ مثلَ دائرةٍ مضوَّأة كعينِ الميتِ في تحديقها
الباكي إلى أملِ السماءْ !
* * *
وكأنَ (قيساً) ما يزالُ محدقاً
من شرفةِ النسيانِ
في ذيالكَ القمرِ البديعِ، شبيهِ ليلى
والشقيقِ الطفلِ للعشاق
يظهرُ ثم يغربُ في الغمائمِ
مثل أطيافِ النساءْ .
* * *
ظلّت ترعرعُ بحّةُ الريحِ الجريحةُ
شِعرَهُ في حبّها
حتى استحالَ إلى رثاءِ معاجمِ العشاقِ في لغةِ المحبينَ القدامى
وانتهتْ كلُّ المراثي دمعةً في عينِ ماءْ .
* * *
لكنّ غيمات المساءِ البيضَ
حين تقابلا وجهاً لوجهٍ
أغرقتها الشمسُ في شفقٍ عميقِ الإزهرارِ ،
وشجرةُ الصيفِ التي طالت
ليكبرَ حزنها الريحيُّ فوقهما
تلاشتْ في الحفيفْ .
* * *
ألقبّراتُ تفرّقتْ
وتفتّحت ريحانةُ الحزنِ الكفيفةُ ،
والرياحُ توحّشتْ كربابةٍ مقطوعةِ الأوتارِ
في ندمِ الخريفْ .
* * *
ورأتهُ رؤيا العينِ
قدّيساً تنوّرهُ على الدمعِ الشموعُ

رأتْ سقوطَ دموعه فوق الحصى الصافي ،
ورقّةَ روحهِ في عهدةِ الليل الشفيفْ .
* * *
عرفتهُ من وشمِ المنيّةِ في طراوةِ ساعديهِ ..
وبرهةِ الفجرِ المصفّى في عذوبةِ ناظريهِ ..
رأتْ بياضَ اللوز مكسوراً على الأزهارِ ،
زوبعةَ البلابلِ وهي تسقطُ فوق تفّاح السهولِ
لكي تؤنّثَ نفسها
وتطيرَ مثل قصيدةٍ تكلى إليهْ .
* * *
فتكفّنتْ بنحيبها الملتاعِ
حتى سالتِ الغصّاتُ من دار لدارْ .
لتصيرَ ليلى زهرةَ الحبّ اليتيمِ
يشمّها (قيسٌ) فيشعرُ بالدوارْ .
ويظلُّ كالمجنون يرحلُ في القفارْ .

حداء على مسمع الأبجدية

هبَّتِ الريحُ في شجراتِ الرثاءِ
وطالَ غيابُ النديمْ .
هبّتِ الريحُ وانغلقَ البابُ
مثل كتابٍ قديمْ .
* * *
زمّليني بثوبِ صلاتكِ يا أَمَةَ الحزنِ
كي تتطهّرَ في هدأة الليل رؤيايَ
إني ضريرُ السوادِ
و أعمى الليالي .
لا أرى غير غيبوبةِ الموتِ ،
غير غديرِ المدامعِ
غير مذلّةِ نفسي
وخسرانِ حالي .
زمّليني إلى مطلع الفجر
كي أتكوّرَ في رحمِ الليل ..
بين الضلوعِ الحزينة مرتعشاً
كاليتيمْ !
زمّليني
لأبكي على آلكِ الغرباءِ وآلي !
فأنا المتألّمُ في عزلتي والمعذّبُ نفسي
أصيرُ إلى شبحٍ زائلٍ كالأغاني العتيقة
واحسرتاه !
وأنا صاحبُ الموتِ مأوى عذاباتهِ
وصديقُ آساهْ !
* * *
لست أسمعُ في الحجراتِ
سوى حسراتِ نفوسٍ تجوس
ظلاميّةَ الليل ..
رجعِ الكمنجاتِ في الأمسياتِ ..
حداءاتِ ريحِ الخريف على شجر
شاهقِ اليأسِ عالي .
* * *
لستُ أسمعُ في الريح غير أناشيدِ وحشتهِ
وأنينِ صداهْ !

* * *
فا قرئي من مراثيك ِما يملأُ الروحَ
بالوجد
كي تتساقطَ منّي الدموعُ
وتغسلني غصّة غصةً
من خطيئة حزني الزنيمْ !
* * *
رتِّليها بنبرةِ راثٍ
لتسبح َنفسيَ في سكراتِ المنيّة
من أوّلِ الليل حتى بياضِ السديمْ !
* * *
أوغلَ القلبُ في الظلمة ِالبارده .
وحشةً وحشةً يتسلّلُ عبر الشبابيك
صوتُ غناءٍ قديمْ !
صوتُ ناءٍ غريبٍ على الأرض
يدفنُ بين قفار الليالي العميقة
عزلتَهُ الخالده ..
صوتُ عميانَ أربعة
يعبرونَ طريق السكوت
وصولاً الى سكراتِ الظلمْ ..
صوتُ حادٍ يغنّي على مسمعِ الأبجدية
ما يجعلُ الريح َترفعُ أذرعها
لتمزّق صدرَ السكون الأصمّْ ..
صوتُ محتضرٍ تتوجّعُ من موتهِ الأرضُ
في حشرجاتِ الصدى الراعده ..
صوتُ باكٍ ترعرعُ نبرتَهُ الريحُ
في رجع نايٍ حطيمْ ..
وحشةً وحشةً
يتسلّلُ عبر الشبابيك صوت غناء قديمْ !
متعباً وجريحاً
يقطّعُ أشجانه وترًا وترًا في المواويل
عند احتدام الألمْ ..
حاملاً حزنَ أغربةِ الأرض ِ
والشهقاتِ التي تتألّمُ في غصصِ الروح

دمعاً ودمْ !

فتشيعُ مع الريح رائحةُ الحزنِ
ينذرفُ الدمعُ من كلّ عينْ !

وتجيءُ العذاباتُ رجعَ صدى
نائحاً وحزينْ !
* * *
هل يطيبُ مع الليل غيرُ الحنين إلى لحنِ نَمْ ؟
: لأهزَّ سريركَ فوق كرومِ الينابيعِ ،
بين الحمائم والياسمينْ !
نَمْ في حرير الطفولةِ
تحت سماء الأنوثةِ
بين ضفاف البحيرات طائرَ تمْ !
تتغنى به كالرسولةِ راضيةَ الروحِ
أمْ .
صيَّرتهُ المهودُ الصغيرة هدهدةً عذبةَ الهمسات
لأطفالها النائمينْ ..
صيّرتهُ الدوالي
عناقيدَ مسكرةً تتدلى على كلّ فمْ .
* * *
فلأغاني العتيقةُ شجرةُ حورٍ
تهزُّ غدائرها السودَ فوق نعاس
اليتيمْ .
* * *
لحنُ نمْ
ذائبُ الحزن في صوتِ أمْ .
لحنُ نمْ
أحرفُ الأبجديّةِ وهي تزقزقُ مثل العصافير
بين عرائشِ غيمْ ..
لحنُ نمْ
طائرٌ تتساقطُ آهاتُهُ ريشةً ريشةً
في احتراق هواءِ الندمْ ..
لحنُ نمْ قطراتُ حليبٍ معطّرةٌ
تتلألأُ فوق شقائقِ فمْ ..
لحن نمْ
قمرٌ صامتٌ
يذرفُ الدمعَ في كأسِ دمْ ...
لحنُ نمْ
نجمةٌ في سماءِ السكينةِ سهرانةً
كفؤادٍ كريمْ .
كفّنيني بأعشابِ شعركِ

كي أتأمّلَ هذا السواد الحميمْ !
كفنيني..
فقد أظلمَ الليلُ وانغلقَ البابُ مثل كتابٍ قديمْ .

الركض خلف عقارب الساعات

ريحُ الجرودِ
وسوطها الشوكيُّ في الإعصارِ
واسترجاعها المذبوحُ بالحمّى على الأشجارِ ،
إنشادُ الأناشيدِ العظيمةِ عند أطرافِ البحيراتِ ،
احتراقُ الروحِ بالناياتِ باكية
يرقرقُ صوتها قصبُ النهاياتِ العليلْ .
* * *
وتفلُّجُ الفجرِ المقطّرِ من دموعِ أنوثةٍ ثكلى ..
تذوّقُ قطرةِ العسلِ المصفّى
من فمٍ ظمآنَ ،
والخسرانُ والفقدانُ يدفعني إلى هذا الرحيلْ .
* * *
للركضِ خلف عقاربِ الساعاتِ
في الفلواتِ
بحثاً عن غزالِ الموتِ ما بين الشعابِ ،
عن الينابيعِ التي اغتسلتْ بماءِ دموعها
الجوفيِّ أوّلُ طفلةٍ
شهدتْ شروقَ الشمسِ في الأعرابِ ..
والإنصاتُ للصمتِ السماويِّ المقدّسِ
في تأنّثهِ الجميلْ .
* * *
والإحتضارُ العذبُ
في الأرضِ المقميةِ في طريقِ البرقِ كالشعراءِ
حيث الصمتُ منتصبٌ كسيفٍ في البعيدِ
يشقُّ غاباتٍ من الأصداءِ ..
والإصباحُ إشراقٌ غروبيٌّ لشمسِ الدمعِ
بينَ الأبجديّةِ والخيالْ .
* * *
وتأمُّلُ القمرِ الرضيعِ
بوجههِ المغرورقِ الأنوارِ
في الليلِ الغضاريّ المشعشعِ بالنجومِ..
ومتعةُ التحديقِ في عذريّةِ الغيمِ الحليبيّ
المسافرِ فوق بيداءِ الشمالْ
* * *

ما عادَ يطربُ روحيَ العزلاءَ في هذا الصقيعِ
سوى الغناءِ على اتساعِ الصوتِ في الصحراءِ ،
والمطرِ الذي ينشقُّ عن أحشائهِ
أفقٌ من الصلبانِ
أو غيبوبةِ الشمسِ التي هبطتْ بهامتها المهيبةِ
خلف أطلالِ الزوالْ
* * *
فارفعْ شراعكَ قاصداً شمسَ الأقاصي
كي ترى أنثى الحياةِ
بجسمها العذريّ تسبحُ في غديرٍ فائرِ الأمواجِ
فاتحةً ذراعيها لأجراس الفقاقيع
التي تنحلُّ كالآهاتِ في الماءِ الزلالْ .
* * *
واتبعْ قناديلَ الغروبِ
لكي تشاهدَ ومضةَ الضوءِ
النبيذيّ الذي ينشقُّ عن ماءِ الأنوثةِ مسكرَ الألوانِ ،
والطيفَ الهلاليَّ الذي
يتضاعفُ العشاقُ حول شموعهِ السكرى
ليكتشفوا الحقيقةَ في الظلالْ !
* * *
واقرعْ إذا ما هبَّ ريحانُ الطفولةِ عشرةَ الأجراسِ
فوق سريركَ المحدودبِ الحسراتِ
كي تتسارعَ الساعاتُ في جريانها اللحنيّ في الذكرى
وتخفقَ في الهواءِ الطلقِ أجنحةُ الخيالْ .
* * *
مترحّلاً في الأرضِ أعبرُ آخرَ الكثبانِ
كالرجلِ المهاجرِ
نحو فردوسِ الجبالِ المستحيلةِ
كي أحاربَ ريحها الثكلى..
وأشهدَ من أعالي الأرضِ
آلامَ العواصفِ وهي تزدردُ الصخورَ
بصوتها الضاري
ويلطمُ قلبُها الضوضاءَ في قلقِ الليالْ
* * *
فأشقُّ ثوبَ اليأسِ عن صدري
لتغرسَ قبضةُ البرقِ المذهّبِ
بين أضلاعي ميابرها

وتغرقَ ظلمتي الأمطارُ في قاعِ المراثي الجاريهْ .
* * *
لا شيءَ يقهرُ في قلوبِ المرهقينَ من الحياةِ
الموتَ
غير صعودهم قممَ الجبالِ العاليهْ ..
وسماعِ صيحاتِ الوحوشِ الهوجِ
في قيعانِ عتمتها
مردّدة صداها في السكونِ الشاسعِ الأوعارُ
أو قصفُ الرعودِ الضاريهْ
* * *
طالَ المقامُ وضجَّ عقلُ الروحِ
واشتدّتْ رياحُ اليأسِ في أعضائيَ الهوجاءِ
أركضُ في ظلالِ العزلةِ العمياءِ
كي أنجو من الحزنِ العدائيّ
الذي يستعذبُ الغصّاتِ في شجنِ
النفوسِ الباكيهْ !
* * *
هرباً إلى رحمِ السكينةِ عند بئرِ الموتِ
حيثُ تنيخُ صرختها حروفُ العلّةِ العطشى
وأربعُ نسوةٍ يغرسنَ من ظمأِ الأنوثةِ بالخناجرِ صدرهنَّ
ويبتدئنَ الرقصَ بالإيقاعِ في قلبِ الدوارِ
على شفيرِ الهاويهْ
* * *
فهناكَ تنبحُ في الصدى العالي
طبولُ الليلِ
قارعةً برجعِ ندائها الوحشيّ أفئدةَ التوجّعِ
والذئابُ تهيلُ وحشتها
على قبرِ الرياحِ الفانيهْ .

تحت غيبوبة الياسمين

مناصفةً في الأماسي ومن شرفتينْ
نحدّقُ في قزحِ الغيمِ
أبيضَ مثل حليبِ الطفولةِ ..
واللونُ صافٍ بمائيّةِ الليلِ
فوق البحيرةِ
يرشحُ نوراً على حزنِ روحينِ
حالمتينْ
* * *
مناصفةً في الأماسي كطيرينِ
عشّهما يتهدهدُ مثل أغاني الوداع
مع الريحِ
نطبقُ أجفاننا
لنغوص بأعماقنا أعميينْ .
* * *
سواسيةً كالشقيقينِ نمشي
إلى مغرب الشمسِ
هذي السماواتُ تلمعُ مثل كوؤسِ الزجاج
البعيدِ ..
لفيفُ الحمام يحوّمُ فوق البحيرة
طيرينِ طيرينِ
غنّي ..
ليطفحَ ماءُ الموسيقا على قدحِ الدمعِ
أنتِ أغاني الوداعِ
وتفسيَ بئرٌ عميقٌ لناياتِ صوتكِ
غني ليكبرَ حزنُ الرياحِ
على شجر الحورِ !
غني ..
ليمتدَّ شلحُ الطيور كثوبِ الحريرِ !
ليغفوَ قلبُ المغيبِ المخضّبِ
في راحتيْ طفلةٍ
ويرفرفَ عصفورُ بردٍ على شجرِ الوردِ
غني لنرحلَ عن حبّنا باكيينْ !
* * *
مناصفةً في الطريقِ الى مغربِ

الذكرياتِ
يضيءُ لنا الشمعدانُ
مناديلَ نائيةً في الفراغِ
وبعضَ المعاني القديمةِ
عن ذوبانِ المحبّينَ ..
عن عاشقٍ صارَ
أجنحةً تترعرعُ بين الدموعِ
عن امرأةٍ أصبحتْ في خريفِ
الأسى شجرةً للحنينْ !
* * *
مناصفةً في الأماسي
ومن دونِ باقةِ وردٍ
نسيرُ إلى مأتمِ الحبّ
محتفلينِ بيومِ الفراقِ النهائيّ
نسدلُ ليلاً قديماً على أمسنا
ونغادرُ ديَّارةَ الحبّ
صفرَ اليدينْ .
* * *
بلا أملٍ سوفَ نفترقُ الآنَ
مثل غريبينِ قلباهما طائرانِ رضيعانِ ..
حينَ تعودينَ للبيتِ وحدكِ
_ من دون إلفٍ يحبّكِ _ عند المساءِ
اسمعي سَكَتَاتِ الأسى في الكمانْ !
* * *
.. أصيخي لراهبةِ الريحِ في الشرفاتِ
تهزُّ جدارَ النحيبِ ،
لشمسِ المغيبِ
تلملمُ ساعاتها وتغيبُ
كعينٍ مقدّسةِ الدمعِ ، مخضلّة الأرجوانْ !
* * *
وحين يزقزقُ عصفورُ صبحٍ
على شرفةِ الفجرِ
لا تتركي زغبَ الغيمِ
يغرقُ دفءَ فراشكِ
بل راقبي كيف تزهرُ غزّولةُ
البيلسانْ !
* * *

إذا أوقفتكِ الكآبةُ يوماً على شاطىءِ
البحرِ
لا تسألي الموجَ عن كنهها ..
عن مراكبِ أحبابكِ الغائبينْ !
* * *
وإن هطلَ الليلُ حبرًا على
دفترِ الشعرِ
رشّي عطورَ الأسى فوق غيبوبةِ
الياسمينْ !
* * *
إذا مرَّ قربكِ لحنٌ قديمٌ
ودقَّ على البابِ
لاتتركي النايَ ظمآنةً للغناءْ !
* * *
وإن عادَ طيرٌ أليفٌ وحطَّ على شجر الدارِ
يسألُ عن عشّهِ
رمّمي العشَّ قبل حلول الشتاءْ !

جدار التصاوير

يا رثاءْ !
يا قرنفلةَ الدمعِ في كأسِ ماءْ
كنتُ وحدي و أبقى وحيداً
وأرفعُ عينينِ ذابلتينِ
لأبصرَ وجهكِ في مطرِ الليل مغرورقاً بالغيومِ
وأنتِ وحيدةُ هذا المساءْ !
كيف تنسى البيوتُ الأليفةُ من ساكنوها ؟
كيفَ تنسى القلوبُ الحبيبةُ من فارقوها ؟
كيف رانَ الأسى
بين حزني وحزنكِ فوق الضريحْ ؟
والمعزّونَ راحوا جريحاً يجرُّ جريحْ !
* * *
هذه وحشةُ الليلِ
ما بينَ كفيّ أجمعُ وجهك
- وجهاً صبوراً صموتْ –
وغدائرُ شعركِ بين أصابعيَ العشرِ
شلاّلُ ريحْ
أشتهي تحتها أن أموتْ ،
أتساقطَ من شجرِ العمر
أوراقَ ذابلةً في العراءْ !
فاذرفي الدمعَ في راحتيّ
لأشربَ من لون عينيكِ ماءَ الغروبِ
فعيناك في لحظاتِ الكآبةِ
شمسا مساءْ
تغفوانِ على زرقةِ الحزنِ
خلف تلال السكوتْ .
* * *
يا رثاءُ
انزعي صورتي – صورةَ اليتم –
من سجنها في إطارْ !
انزعيها ولا تتركي وحشتي
تتأرجحُ فوق أديمِ السآمةِ والانكسارْ !
فالتصاويرُ تصبحُ أغربةً وتموتُ
إذا الموتُ جاءْ ،

وتصيرُ مزاولَ للانتظارْ ..
والطيورُ التي ارتفعت في السماء
لتنجوَ من هوّةِ الأرضِ
تُسقطها طلقةُ الموتِ في ساحةِ الشهداءْ .
فانزعيها من الزمنِ المتكلّسِ في ظلموتِ الجدارْ !
* * *
واقفاً كان كالرمحِ ثمّ قعدْ
مثلما يتألّمُ في الريحِ صوتُ العذاباتِ
أطلقَ صرختهُ وارتعدْ .
قبل أن يأخذ الليلُ إيماءةَ الحبِّ من وجههِ ،
نقطةَ الضوءِ من ناظريهِ
بكى وتباعدَ حتى ابتعدْ ..
أظلمَ الكونُ وانغلقَ البابُ
خلف المصيرْ .
والسريرْ
يتأرجحُ ما بين أوديةِ الموتِ ،
ما بين ليلينِ .. أغنيتينِ ..
فؤادين محترقينِ بحزن غريبْ ..
يتأرجحُ ذاتَ الشروقِ وذات المغيبْ .
بعدها مرّتِ الأربعون عليهِ
ولم يبقَ غير أساهْ !
مثل رجعِ الرياحِ الرواحلِ في الليلِ
يأتي صداهْ !
فيحلُّ على الروحِ صوتٌ ضريرْ .
بعدها .. جثمَ اليتمُ في الغرفةِ المظلمهْ ..
يستبيحُ بأصدائهِ مأتمهْ
وخلا البيتُ لا شيءَ ...
لا شيء غير اهتزازِ سريرْ ..
وبقايا بكاءْ !
دمعتي بين عينيكِ مذروفةٌ يا رثاءْ !
يهرمُ الشعراءُ كريحٍ رماديّةٍ في الخريفِ
ويبقى دخانُ القرى عالياً في الشتاءْ !
لا الشمعداناتُ قادرة أن تضيءَ الظلامَ
الذي أطفأوهُ
ولا تُستعادُ عذاباتهم من أنينِ المآذنِ
عند العشاءْ !
كفكفي الدمعَ

كي أتكبّدَ في أرذل العمر قلبي اليتيمْ !
واتركي الليلَ يذبلُ بين غدائرِ شعركِ
حتى ينام النديمْ !
حفَرٌ هذه الأرض يحفرها الراحلونَ
ويردمها الموتُ في كلِّ حينْ !
والكآبةُ في الأرض ملكٌ قديمْ ..
للذين يعيشونَ أغربةَ الروحِ ، مستشهدينْ !
فاتركيني وحيداً ببابِ الليالي العتيقةِ
أوغلُ في عزلتي
وأقطّرُ من شاهقِ الموتِ خيطَ الدماءْ !
يهرمُ الشعراءُ
ويطبقُ مثل كتاب قديم على القلبِ
طوقُ المساءْ .

حسرات لأخيلة الغائبين

رحل الأصدقاءُ القدامى
وظلّت تصاويرُهم ترشحُ الدمعَ
من حائطِ النعواتْ !
لكأنَّ العيونَ التي أطفأتها المنيّةُ
تبقى محدَقةً في مغيبِ الحياةْ 0
رحلوا ظامئينَ..
وكان المدى ساعةً من سكوتْ 0
فبقيتُ على وحدتي في المساءاتِ
أسمع أغنيةً عن فراق المحبّينَ
في لحظات الأسى والوهنْ
* * *
كانَ ما بيننا شمعدانُ دموعٍ
ونايٌ عليلُ المقاماتِ
يستقطرُ الآهَ من شهقاتِ الشجنْ !
* * *
ربما أصبحوا نُصُبَاً
يتقطّرُ من حزنها الغامضِ الصمتُ والصلواتْ .
ربما أصبحوا في ليالي المنيّةِ
لحناً طويلاً من الأغنياتْ 0
ربما أصبحوا همساتْ ..
تتباكى بها الريحُ فوقَ أعالي الهزيم ،
وتسقطُ مسلوبةَ الحزنِ
فوق الدمنْ .
ربما أصبحوا كلماتْ ..
خبَّأَ الليلُ أصداءها في التعاويذِ ..
بين صدورِ الغرياتِ ..
تحت المخدّاتِ ..
في حسراتِ الكمنجاتِ تبكي يتامى المواويلِ
في خلجات الحنينِ الذي يتألّمُ
في كلّ صوتْ !
فالقلوبُ التي يشربُ الحبُّ خمرتها لا تموتْ 0
والعيونُ التي تفقدُ النورَ
تبقى معلّقةَ النظراتْ
أبداً في السكونِ الصموتْ 0

* * *

ها هم اليوم مستغرقونَ بأعلى الجدارِ
يعيشونَ صمتيَ أغربةً واجمينْ !
صورٌ.. يتزايلُ في غور أعينها
قمرُ الذكرياتِ الحزينْ !
أتأمّلهم ساكنينَ إلى زمنٍ زائلٍ ..
راقدينَ بأحلامهم في سباتٍ عميقْ ..
تتسوّلُ في سكرةِ الموت أنفسهم
شربةً من مياهِ الحياةْ .
فإذا غابتِ الشمسُ راهبةً
في الغروبِ العتيقْ ..
والعشيّةُ حلّتْ غدائرها السودَ
فوق هجوعِ البيوتْ
رحتُ أسمعُ أصداءهم
تتلامسُ أجراسها في خفوتْ .
* * *

ليخيّلُ ليْ أنهم لا يزالونَ أخيلةً
تتعايشُ بين القصائد في إلفةٍ وسلامْ 0
لم يغيبوا كما يدّعي الليلُ
بل نفخَ الموتُ في روحهم
فمشوا نائمينْ ..
واستحالوا حداةَ ظلامْ 0
همستْ لهمُ الريحُ همساً شجيّاً
فذابوا بأنفاسهم في ضبابِ التأمّلِ
مثل بياض الغمامْ .
فإذا انتصفَ الليلُ واشتدَّ وجدُ الحنينْ
تتصاعدُ غصّاتهم كالدخانِ
وتهطلُ من رعشةِ الروحِ فيهم
على بركةِ النورِ ريشةُ دمْ0
وإذا سكرتْ باحةُ الدارِ بالياسمينْ ..
تتشعشعُ أرواحهم كأريجِ الخمورِ
إذا لامستهُ اشتهاءةُ فمْ .
* * *

ليخيّلُ لي أنهم في الفراغِ
العميقِ من الموت مستغرقونْ .
ينحني القلبُ لكنها العينُ لا تنحني
وتحدّقُ : هُمْ

إنهم ميّتونْ ..
إنهم في مياه العدمْ
يسبحونْ...
يسكنونَ قصور السكونْ

أنوثة الألوان

اللونُ نعتٌ أنثويٌّ ناعمُ الأطيافِ
تنهلُ من عذوبته النساءْ .
* * *
لتصيرَ أجملَ في تورّدِ وجنتيها من شعاعِ الفجرِ
إذ ينحلّ مثلَ حلاوةِ التفّاحِ
في ثغر الهواءْ .
* * *
فالأحمرُ الدامي
وحامُ الشمسِ في تفاحةِ النهدِ الصغيرةِ
واندلاعُ شقائقِ النعمانِ
في خجلِ البناتِ
وقد تخضّبَ وجههنَّ بحمرةِ الرمان والدفلى
فسالَ دمُ المراهقةِ الرضيعُ
على انحدارِ نهودهنّ مضرَّجاً بالكهرباءْ
* * *
والليلكيّ
غروبُ شمسٍ ضائعُ الغابات ،
واللونُ الذي تسقيهِ نرجسةٌ
عبابَ أريحها
في مزهريّةِ عاشقينِ
يقطّرانِ الدمعَ في ماء الإناءْ .
* * *
والأبيضُ العسليّ
لطخةُ شهوةٍ شهّاءُ في جسدِ الأنوثةِ
وازهرارُ الفجرِ في نهرٍ ربيعيٍّ
يشعشعُ بالضياءْ .
* * *
اللونُ تلوينٌ حزينٌ لأخيلةِ المحبّينَ
الذين توارثوا حزنَ الشموعِ
وذوّبوا أجسادهم
كالريحِ في الشجرِ البعيدِ
ليصبحوا رهبانَ أديرةِ المساءْ .
* * *
والأزرقُ الشفّافُ

صمتٌ مسكرُ الأصداء ..
ضوءٌ أنثويّ لانحناءِ الليل
في احديدابهِ الأبديّ فوق الأرضِ
والنورُ المقطّرُ من أديمٍ مقمرٍ في نبع ماءْ.
* * *
والأخضرُ الشهويُّ
لسعةُ نحلةٍ
في نرجسِ الصدرِ المُسيّلِ
مثل صابونِ الطفولةِ
والتشهّي العذبُ للنعناعِ
في ذوبانِ سكّرةِ العذوبةِ
فوقَ نحرٍ ورّدتهُ الشمسُ
فاعتلَّ انتشاءْ .
* * *
للزهر أسماءٌ كأسماءِ النساءْ .

باقة من شموس

المدى مشمسٌ
والسحابُ بلون الحليبْ !
وسماءُ الصبيحةِ مثلجةُ النورِ ..
زرقاءُ..
يشربُ من كأسها العندليبُ
ويصدحُ بين سكارى الغصونِ
فيسحرُ بالزقزقاتِ فضاءَ النهرْ

والغيومُ الرضيعةُ تسبحُ تحتَ الأديمِ الربيعيّ
مبيضّةَ اللونِ بيضاءَ
مرسومةً بيراعِ المطرْ .

عسلٌ مسكرٌ سالَ من صدرها المستديرِ
وقطَّرَ دمعاتهِ في العيونِ
فذابتْ نواظرنا
ذوبانَ الأهلَّةِ عند البكورْ .

فارتفعنا لنفتطفَ الشهدَ عن أمّهِ المشتهاةِ
فأدمتْ أصابعنا لسعاتُ اليعاسيبِ
حتى استحالتْ براعمَ محمرّةً
والزهورُ استحالت سنابلَ نورْ .

لكأنَّ المطالعَ من برتقالٍ وضوءٍ
عصائرُها تسكرُ الروحَ
بالشهواتِ
تدحرجها طفلةٌ في دروبِ الضحى كالكراتِ
كأنَّ الصبيحةَ صومعةٌ
تتدلّى عليها الثرياتُ دامعةَ العينِ ،
والريحَ أجنحةٌ من بخورٍ
تهزُّ رؤوسَ السفرجلِ
مثل النواقيسِ
جاعلةً من خريرِ الينابيعِ ترتيلةً
وحفيفَ العرائشِ أوتارَ مبحوحةً
وارتعاشَ السكونِ نهرْ .

ها هي الأرضُ مخضرّةٌ في الشروقِ
المذهّبِ
والشجراتُ الصغيرةُ
تبسطُ أغصانها الخضرَ مصلوبةً في الضبابِ...
الطبيعةُ صارت كنائسَ ثلجٍ
تذوّبُ أجراسها الشمسُ
والعينُ هذي الصبيحةَ قدّيسةٌ للبصرْ !

قطعٌ من سحابٍ صغيرٍ تمسُّ السماءَ
فتمطرُ أثداؤها مطراً رائباً في المروجِ
رفوفُ طيورٍ تطوّفُ فوق سريرِ الألوهةِ
مسحورةً بالطلوعِ
وأرواحنا تتطايرُ من تحتِ أجنحةِ اللهِ
مثلَ الفراشاتِ بين خيالِ الشجرْ !

أيقظي الروحَ يا جوقةً من سنونو ومن زقزقاتٍ
تليها البلابلُ والقبراتُ
فهذي الطيورُ الأنيسةُ لست ملائكةً
بلْ قلوب بشرْ .

والحمائمُ أرواحنا الحائماتُ
تحلّقُ تحت السحابِ الرسوليّ كالراهباتِ
وعند المغيبِ الحدائيّ تهبطُ كالمريماتِ
على أمّهاتِ الشجرْ

أيقظي الروحَ يا ربّةَ الحزنِ
فالفجرُ في غايةِ الإزهرارِ
ومرأى التباشيرِ تصبو لرؤيته العينُ
حيث السواقي شرائطُ زرقاءُ
والطرقاتُ البعيدةُ تمتدُّ نايات راعٍ
وراءَ حقول المطرْ .

أزهرتْ شجراتٌ من اللوزِ مثل الصبيّاتِ
فيما الحساسينُ مغسولةً بالندى
تتنزّلُ مثل الأغاني

ومن راحةِ الفجرِ يبزغُ طفلٌ
يدقُّ على غفوةِ اللهِ بالسقسقاتِ
فتصحو الفراديسُ من غفواتِ المغيبْ .

المدى مشمسٌ
والصبيحةُ أنثى بعينينِ مزهرتينِ
تلاعبُ زوجَ حمامٍ صغيرٍ على ركبتيها
وترضعُ من ناهديها البلابلَ
ماءً حليبْ !

والسماءُ الضحوكةُ داليةٌ
تتلألأُ أعنابها كالدموعِ
ومن كلّ رأسِ غصينٍ تطلُّ قطاةٌ
ومن كلّ زهرةِ خمرٍ
تنقّطُ قطرةُ طلٍّ
فيرشفها العندليبْ

كانبلاجةِ نورٍ تراءى لي العشقُ
أجنحةً ،
والتباشيرُ (أرواحَ) ،
والأرضُ ثلجيةَ الإزهرارِ
صحوتُ وقد طعّمتْ جسدي بالبراعمِ غرسةُ لوزٍ
فراحت تحوّمُ حولي الفراشاتُ
أسرابَ سكرى
وتسبحُ في ناظريَّ البحيراتُ عند الغروبِ
كما تستحمُّ سحابةٌ صيفٍ على ساقيهْ ..

كانَ بيني وبين الصبيّةِ
نفحةُ حبٍّ تذوبُ مع الهمساتِ
ورعشةُ ضوءٍ
تشعشعُ ناعمةً في العيونِ
فمنْ أيّما زهرةٍ تتفتّحُ روحٌ
ومن أيّما نبعةٍ تتكوّرُ كأسٌ ؟
كأنَّ الصبيّةَ ماءٌ
وجسمي استحالَ لها آنيهْ !

يا بنات الأصابيحِ

غنّينَ صوتاً لصوتٍ
وأغنيةً ... أغنيهْ !

لسعاتُ اليعاسيبِ في الصدرِ مسكرةٌ
والبساتينُ وردّيةُ اللونِ في الصبحِ
ناصعةٌ في الظهيرةِ
زرقاءُ عند المساءِ
بلونِ الفرحْ .

وغناءُ الصبيّةِ كأسُ (مُوسِيقى)
يُساقي العنادلَ بين الغصونِ
ومرآى الأنوثةِ طلقٌ
كشلحةِ شمسٍ معلّقةٍ فوق قوسِ قزحْ .

كانَ نهدُ النعومة يحملني فوق جانحِ نهرٍ
إلى أوّلِ البرتقالِ
وصدرُ التشهي
يطيّرُ روحي كنافورةِ العطرِ في الأمسياتِ
ويرفعني كالهلالِ إلى جنّةٍ من مرحْ .

وضفائرُ مشغولةُ الحزنِ بالهدهداتِ
ترشُّ القصاصاتِ فوق سريري فأغفو لها
وتنقّطُ فوقي دموعُ الكمنجاتِ مثل دموعِ البلحْ .

ثملٌ بالطبيعةِ .. صافي البصيرة
أرقصُ طلقَ الطفولةِ قربَ الينابيعِ
صدري ممتلىءٌ بالأغاني
وتحت ذراعيْ سنابلُ قمحٍ
ومن كلّ صوبٍ تفيضُ الثّمارُ
ويعبقُ بالعطفِ جوُّ الربيعْ !

مشرفاً كالغزالِ على شهوتي بانشراحٍ
أيمّمُ شطرَ المروجِ التي ربَّها الغيثُ بالدمعِ
وهي تشعشعُ مغسولةً بانتشاءٍ
وترفعُ مثل الشقائقِ أفواهها
لارتشافِ الندى من فمِ الغصنِ
أنقرُ صدرَ الصخورِ بأجراسِ كفّي

فينبعُ من صدرها الماءُ عذباً رضيعْ !

جيئةً وذهاباً يحوكُ الحمامُ حريرَ الغيومِ
ومن أصصِ الوردِ
يلعقُ نحلُ العذوبةِ مرَّ الرحيقِ
ويشربُ نهدُ الصبيّةِ حسوةَ طلٍّ
فيسري احمرارُ الورودِ على وجنتيها
ويسقطُ تفّاحها في السلالْ .

فاسقني الماءَ من نبعةٍ عذبةٍ في الجبالِ
وقطّفْ ثمارَكَ من دالياتِ البناتِ
التي حانَ إيناعها
وتلألأَ إجّاصها في الصدورِ
ولاحتْ على ناهديها قلامةُ ظفرِ الهلالْ !

وعلى شاطىءِ النهرِ أستنشقُ العطرَ ممتزجاً
برحيقِ النساءِ الخياليّ
وهو يذوبُ بماءِ الذكورةِ
في شهقاتِ النهرْ

وأشمُّ شذى الزهراتِ التي
سالتِ الخمرُ من صدرها اللبنيّ
وشرّعَ فوق أنوثتها المشتهاةِ
جناحيهِ ديكُ المطرْ .

بتشهٍّ تدورُ التلالُ التي نزفَ الثلجُ من ثديها
فوقَ بطنِ السهولِ ..
سماويّةً تتهادى الغمامةُ عند الغروبِ
وتحنو السماءُ الولودُ على ابنتها الأرضِ
راضيةً
فتضمُّ إلى حضنها العينَ والقلبَ والدمعاتِ
وتُرضعُ أ رواحَنَا كالثرياتِ نورَ البصرْ .

كانَ أوَلُ حبٍّ يرخرخُ فوقي زخّاتِ شمسٍ
وتحت ثيابي ترفرفُ أجنحةٌ كالنوافيرِ
رافعةً شهواتي إلى مشتهاها..

ومن فتحاتِ قميصيَ تنمو الحشائشُ
عابقةً بالعبيرِ ..
وتغفو على جانحي سنونوةٌ ضائعهْ .

وتسلُّ نسيمةُ صيفٍ على الصدرِ سيفَ برودتها الرائعهْ ..

خوخةٌ من صديرٍ نحيلٍ تدلّت عليَّ
فلاحَ الوحامُ على كتفيّ
وراحتْ رياحينُها الخضرُ ترقصُ حافيةً
والطيورُ يلاعبها الموتُ
في جنّةٍ جائعهْ .

أيها الطفلُ لا تكبرِ الآنَ
إنّي أرى شجراتِ الكهولةِ عاريةً .. دامعهْ .

أندلس الغريب

متأملاً عينيكِ في في دنيا الغروبِ
رأيتُ طيراً ضائعاً
يبكي على أبويهِ في قمر الكآبهْ .
* * *
ورأيتُ أمسكِ جالساً قرب البحيرةِ كالغريبِ
يلفّهُ حزنُ الضبابهْ !
* * *
والطيرَ تشربُ من أسى الأغصانِ
نهلةَ حزنكِ الظمآنِ
فانتظري على شبّاكِ صمتكِ كالنساءْ !
* * *
قمراً يطلُّ على البحيرةِ
حينما تبكينَ وحدكِ في المساءْ !
* * *
قمرًا يلمُّ حمائمَ الآهاتِ عن حبلِ الدموع
بضوئهِ الواني ،
ويُغرقُ حزنَنَا في ناظريهْ .
لا تتركي العصفورَ برداناً على القرميدِ
كي يجدَ المسافرُ عندنا خمرًا
ونسكبَ دمعنا في راحتيهْ !
لا ترحلي كالريحِ في الأشجارِ حافيةً
ليرشقنا خريفُ غيابنا بسهامِ وحشتهِ
ونرفعَ ظلّنا شجرًا عليهْ !
* * *
ودعي الحمائمَ في سطوحِ المغربِ البيضاء
تلهو بالهواءِ الطلقِ
في حومانها البريّ
حائكةً بريشِ الدمعِ قمصانَ السحابهْ !
* * *
وتطلّعي لغناءِ عصفورينِ
ينحدرانِ من شجرِ الغروبِ
كريشتي حبٍّ على وترِ الربابهْ !
يا زهرةَ الصبح التي صلّتْ على أطراف غابهْ !
* * *

فالليلُ صمتٌ (أبيضٌ) في الناي
والموّالُ أندلسُ المسافرِ
حين يرفعُ من أساهُ (كنائساً)
للمجدليّةِ في سماءِ العاشقينْ .
والريحُ نايَاتُ المهاجرِ وهي تذرفُ دمعها
بسرائرِ الروحِ الحزينْ !
* * *
فتأمّلي فوق البحيرةِ
طائرينِ يزاجلانِ مع المساءِ
يسوعَ حزنٍ طالعٍ
كالبدرِ من شرفاتهِ العليا
يحدّقُ في حياةِ الزاهدينْ !
وتأمّليني عندَ أقواسِ الغيابِ ،
أضيءُ محرابَ الكآبةِ بالشموعِ ،
وأذرفُ دمعتينِ على فراقِ الغائبينْ !

عراك بين ذئبي الأبجدية والأربعين

حلّتِ الأربعونَ من العمرِ باردةً كالرمادْ !
* * *
فاستطالَ غناءُ البناتِ الوحيدات في الأمسياتِ
استطالَ رنينُ النواقيسِ في النعواتِ
استطالَ أنين الكمنجاتِ
وهي تنازعُ لحظةَ موتْ !
* * *
صرتُ أبصرُ ساعةَ موتيَ عند المغيب
كغصّةِ صمتْ .
صرتُ أسمعُ نعي تردّدهُ الريحُ
في كلّ وادْ .
* * *
حلّتِ الأربعون وصارَ الخريفُ ستائرَ مسدلةً
في طقوسِ الحدادْ !
وأنا زاهدٌ في سكونِ المساءاتِ
أدفنُ حزني القديمَ
وأنصبُ شاهدةً فوق ميتْ .
* * *
أغلقوا البابَ إنْ جالتِ الريحُ بين المجاهيل
واستغرقَ الكونُ في لحظةٍ من صلاةْ !
أغلقوا الباب
إنّ الاناشيدَ في عزلة الليل ساكنةٌ
والحروفُ تجدّفُ في وحشةِ الأبجديّةِ كالدود
حلّتْ فصولُ الموات !
* * *
لم تكن رحلةُ العمر غير جدارٍ طويلٍ من الطين
جفّتْ عليهِ الفراشاتُ ميّتةً
ودموعُ أناسٍ بعيدينَ
جفَّ عليه دخانُ الطوابين مثل غباشِ السرابْ .
* * *
مررنا على الأرضِ مرَّ الحداةِ
ولم نتزوّدْ سوى بالترابْ .
* * *

لا حزيناً من الموتِ أبكي
ولا خائفا من ظلام النهاياتِ
لكنني أتساءلُ ليلاً فليلاً
لماذا الأحبّاءُ فرداً ففرداً يموتونْ ؟
أتساءلُ دون جوابْ !
* * *
حلّتِ الأربعون وغامَ الأسى في العيونْ ..
فجلستُ وحيداً
أقطّرُ في الكأسِ ماءَ المرارةِ
من أدمعي وجروحي
أتطلّعُ مغترباً في عيون الغريباتِ
يذبلُ فيها سراجُ الأسى ..
في الوجوه التي جفّفتها المدامعُ
في أعينِ العابرينَ وهم يرحلونْ !
أتطلّعُ مغرورقَ العينِ في عزلتي
فأحسُّ بأنّي أمامَ ضريحي .
أستديرُ بعيداً وينطبقُ البابُ
خلف السكونْ .
* * *
ها أنا
يائساً أتجوّلُ بين التماثيلِ في لحظات الوداعْ .
فأراها تحملقُ عمياءَ في ظلموتِ الضياعْ
وأعانقُ أطيافَ من رحلوا عائدينَ
إلى الموت
لكنهم حينما أبصروهْ ..
جمدوا في الوجوهْ ..
* * *
لكأنّ التماثيلَ أضرحةٌ للذين قضوا
تائهينَ على طرقات الرحيلِ
..كأنّ المنيّةَ ساقيةٌ أضحلتها السنونُ
نخوّضُ في طميها ظامئينْ !
* * *
نحتوا في صخورِ الكآبةِ أشباههم
وانتهوا نادمينْ .
ليخيّلُ لي أنّ هذي التماثيل
ليست سوى بشرٍ يعتريها الغيابُ
* * *

قطّروا الليلَ في كأسهم كالدموعِ
ومن دمعاتِ الأسى سكروا
ثم ذابوا ...
* * *
خبّأوا حزنهم في جرارِ النبيذ
فعتّقها في الجرارِ العذابُ
* * *
حدّقوا في سراجِ السكينةِ
حتى تلاشت عيونهمو السودُ
فاستسلموا للرحيلِ وهاموا ..
* * *
سمعوا النايَ منعزلا في السهوب
فهزّوا سريرَ المراثي
و ناموا .
* * *
بصروا الشمسَ بيضاءَ فوق السهول
فخاطوا شراعَ الرحيلِ وهبّتْ رياحُ ...
* * *
وجدوا وطناً رائعاً في الأغاني
فلمّوا حقائبهم ثم راحوا ...
* * *
شربوا من لباب المنيةِ
ما يُسكرُ الموتَ في الروح
حتى ارتوا واستراحوا ...
* * *
أصبحوا في الليالي العميقةِ أجدادنا ،
كائناتٍ من الحزنِ تلبسُ ثوبَ السوادْ .
حلّتِ الأربعونَ
ولم يتبقّ سوى الحزنِ تحت الرمادْ

كهرباء العواصف في الليل

وبعدُ...
أيا قريةَ الغارسينَ محاريثهم
في دمِ الطينِ ،
والشاخصينَ إلى شهقاتِ الغيوم التي
تتناثرُ كالقطنِ فوق تلالِ المغيبْ ؟
* * *
أما آنَ للمترحّلِ أن يترجّلَ عن موجةِ
العمرِ عند الغيابِ ؟
وللريحِ أن تتراكضَ في أنهرِ الأرضِ
جابيةً وحشتي من متاهِ المجاهيلِ
في ليلنا الرعويّ الكئيبْ ؟
* * *
أما آنَ للروحِ أن تتراقصَ حافيةً
على وترِ الأرضِ عند الأيابْ ؟
فيا (كربلاءً) تلوحُ مآذنها في السحابْ !
* * *
ضريرًا أعودُ لأرفعَ نحو منابعِ صبحكِ عينيَّ
لكنني لا أرى الليلَ غيرَ نجومٍ
تكبُّ على قمرِ الدمعِ
فاستدركي ظلمتي ،
وأضيئي المصابيحَ كي تشهدي عائداً
غارقاً بالنحيبْ !
* * *
أنا الواقفُ اليومَ تحتَ الشبابيكِ
تمطرُ فوقي غيومُ الأحبّة دمعاً
وأبكي افتقادي لثديٍ يتعتعني بالحليبْ !
أنا طائرُ الوحشةِ الأبديّ
أحطُّ على شجرِ السنديانِ العتيقِ
وأملأُ هذي الدنى بالنعيبْ .
* * *
صغيراً رحلتُ عن الأرضِ
جبتُ البوادي البعيدةَ
لكنني لم أجدْ آخرَ الأرضِ ،
لم أرَ غيرَ النهاياتِ تمتدُّ خلفَ النهاياتِ نائيةً

فرجعتُ لأبكي على حجر البئرِ مثل الغريبْ !
وأصرخُ في جوفهِ المتهدّمِ
:كيفَ نضبتَ من الماءِ ..
من ضحكاتِ البناتِ الحبيباتِ
بعد مراهقة العمرِ ...
كيف تلاشى ترقرقُ ماءِ الجرارِ على مسمعِ القلبِ
يا بئرُ
أينَ الدلاءُ التي تشربُ الروحُ من مائها
الباردِ السكرَ ؟
رُدَّ على صرختي وهواني !
فما عادَ من رجعِ صوتي غيرُ الصدى
ذاهباً في بكاءِ الأغاني !
ومن مائهِ شربةً ما سقاني !
تُراكَ هرمتَ كأجدادِ حزني القدامى
وأوغلتَ في ظلمةِ الأرضِ
منطفىءَ الروح فاني ؟
وأين همُ اليومَ منّي
أما فتئوا ينحتونَ الجذوعَ القديمةَ عندَ المغاربِ ،
ينتظرون خريفَ مواجعهم بالفؤوسْ ؟
ويحتطبونَ العذاباتِ من كهرباءِ العواصفِ في الليلِ
_ ليلِ الجراحِ _ التي تتوجّعُ آلامُها المدلهمّةُ
في ظلماتِ النفوسْ .
كأنّ الحياة اختبارٌ لشيخوخةِ الروحِ
ألمحهمْ حاملينَ فوانيسَ أحزانهم
يسهرونَ بقربِ القبورِ
التي تتكاثرُ أشباحها في السوادْ .
وما زلت أسمعُ أصوتهم تخرجُ من هوة الأرضِ ،
أوجاعهم تتطاعنُ أنّاتها كالخناجرِ
بين حقولِ الرمادْ .
فيا كربلاءَ الحنينِ التي لاحقتني في أقاصي البلادْ !
* * *
ضريرٌ نحيبُ الطواحينِ في مغربِ العمرِ
موحشةٌ صخرةُ الموتِ خلف المجاهيلِ
والأرضُ قفراءُ
لا طيرَ لا شمسَ لا ماءَ
غير الرياحِ التي تتدحرجُ فوق الجرودِ
فأينَ مطارحُ قلبي العتيقةُ

بينَ شجيراتِ توتٍ وتينْ ؟
وأينَ النجوم التي دفنتْ حزنها في الهزيعِ
وكيفَ تصيرُ الديارُ خرائبَ
تبكي على الذاهبينْ ؟
أأجلسُ فوق الصخورِ القديمةِ
للبحرِ ظهري
ووجهي مستغرقٌ في تأمّلِ هذي القبورِ ،
أسائلها : أين من فارقونا وكانوا هنا ساكنينْ ؟
وكيفَ يصيرونَ أخيلةً للأسى والأنينْ ؟
يخيّلُ ليْ بعدَ هذي السنينْ ..
بأنَّ الذين مضوا عائدينَ إلى الموتِ
صاروا تماثيلَ زاهدةً في ليالي الأحدْ
ولكننا في ليالي الحنينِ الجريحةِ
نسمعُ أصواتهمْ في العشيّات مبحوحةً
تتناهبُ كالريحِ صفصافنا المرتعدْ .
* * *
فيا دارُ لا تتركي القلبَ مستوحشاً وطعينْ !
ألمّ بقلبي الحنينُ
فجئتُ أشمُّ التُرابَ الرطيبَ كرائحةِ النهدِ
أو أتنسّمُ عطرَ هواءِ الحقولِ الحليبيّ
مثل حمامٍ رضيعْ .
رجعتُ لأغسلَ قلبي برقراقِ ماءِ السواقي البديعْ .
رجعتُ أراكضُ عشرينَ حقلاً من القمحِ
في الريحِ ..
أبكي ذليلاً على صاحبٍ
كنتُ أدميتهُ في عراكٍ
وأهديتهُ في الطفولةِ بلبلَ حزني الحرامْ .
أتيتُ أراقبُ من بيتنا قمرَ الوعرِ
يسبحُ أبيضَ في أبديّةِ هذا الظلامْ !
فيا قريةَ الركضِ حتى حدودِ الجبالِ
فؤاديَ ينبحُ كالطبلِ شوقاً إلى الموتِ
فوق ترابكْ
أما آنَ لليلِ أن يتلاشى
لتبصرني الشمسُ خلف المشارقِ مستشهداً في غيابِكْ ؟
أما آنَ للأغنياتِ التي أصبحتْ في ربيع الحياةِ امرأهْ ..
أن تزوّجني الموتَ
فوق سفوحِ هضابكْ ؟

أنا الراهبُ المتوحّدُفوق ضريحِ الظلامِ الحدائيّ
أفردُ للريحِ كلتا يديّ
لتحملَ حزني جبالُ المراثي
وتسقطني ميّتاً فوق صخرِ اغترابكْ .

بيت عزاء

لم يعدْ غيرهم بانتظاري
على عتباتِ المساءْ
ندمي المتكفّنُ بالصمتِ في حزنهِ وعماهْ !
والتصاويرُ فوقَ الحوائطِ
تُغرقُ غيبوبةُ الموتِ أعينَها
في بحيرة آهْ !
وسراجٌ قديمٌ يساهرُ بيتَ العزاءْ !
ها أنا أتأمّلُ في الناسِ نفسي..
فَأُبْصِرُنِي في عيونِ البناتِ الصغيراتِ
كهلاً تميلُ به الشمسُ نحو الهجوعِ ..
وفي أعينِ العابرينَ غريباً
يسائلُ عن راهبٍ أو يسوع ..
وفي أعينِ الزاهدينْ
صرتُ أُبْصِرُنِي عارياً وحزينْ !
صرتُ أبصرُ في عينِ إمرأتي
دمعتي لا تبينْ !
وزمانُ المحبّةِ ما بيننا لا أراهْ !
صرتُ أبصرُ حتفيَ في كلِّ عينْ !
من هنا يسحبُ الحزنُ خيطَ عذاباتهِ وأساهْ !
شختُ ، شاخَ غنائيَ في الليلِ
شاخت عذاباتُ قلبي
وصارتْ عصاي
دبيبَ خطاي إلى وحشتي ،
ودليلي إلى مغربِ الخاسرينْ !
كيف تنظرُ عينانِ متعبتانِ
بعينينِ معتمتينِ
ولا يرعشُ الدمعُ بين الشفاهْ ؟
كيف ينبض قلبُ الجريحِ لقلبِ الجريحةِ
والحبُّ بينهما فاقدُ الإنتباهْ ؟

أصدقائي ذابوا بأحزانهمْ كالشموعِ
ولم يتركوا غير أسمائهم للنداءْ !
هبّتِ الريحُ ما بيننا ، وافترقنا وحلَّ المساءْ .
باكياً 000أتطلّعُ في صورةِ المومياءْ !
فأرى القمرَ المتغرِّبَ في الليل
حسرةَ راءْ .
باكياً 000أتامّلُ أيقونةَ الأمِّ ذات الأسى
والرثاءْ !
فأرى الشمسَ عند غروبِ البحيراتِ
سكتةَ ياءْ
أتكوّرُ في رحمِ الليلِ خوفاً وأرتعدُ ..
كلّما ماتَ في حيِّنَا أحدُ ..
فيلاحقني الموتُ
يطلب ماءً
فأسقيهِ من شربةِ الحبّ
يطلبُ حزناً
فأبكيهِ من القلبِ
لكنْ يظلُّ على صمتهِ المستريبْ ..
واقفاً في وجومٍ مهيبْ .
يا وفاءْ !
أطلقي (غنوةَ) الحزنِ فوق سكونِ المغيبْ !
شجرةٌ في العراءْ
تتساقطُ أوراقها في عياءْ
فوقَ قبر الغريبْ !
خلفَ نافذتي البحرُ شاخَ
وريحُ الخريفِ تقطّرها أدمعُ الناي
في عتماتِ القوارير ..
رجعُ صدىً طالعٌ من مكابدةِ القلبِ
صارَ نداءُ الكمانْ !
شفقُ العمرِ صارَ إلى غلمةٍ وزوالٍ ..
وغاصَ الأسى في قلوب المعزّينَ
حتى استحالوا ظلالاً تحدّقُ في اللامكانْ .
لم أعدْ ساعةَ الصبحِ
أسمعُ أغرودةَ الطير .. قبّرة النهرِ
صوتَ فتاةٍ تغنّي على منبعِ الفجرِ
أنشودةَ الشجنِ المترقرقِ
في شهقات الحفيفْ .

حلّق البجعُ المترحّلُ تحت غيوم الخريفْ !
وتوارتْ صغارُ العصافير فوق حبالِ الشتاءْ !
لم يعد (أحدٌ) بانتظاري
سوى شبحي – شبح الموتِ –
مستغرقاً في الظلامِ ،
وشيخوخةٍ تتلمّسُ دربَ المساءْ
لم يعد غيرُ قارئ نعي
وبيتُ عزاءْ0

سماء من الزقزقات

في الربيعِ فتحتُ عيوني
كصبحٍ فتيّ الرموشِ إلى الشمسِ
أنهلُ من نهدها المشتهى كالرضيعِ
وقد ضمّدت جسدي
بقماطِ الطفولةِ أمّي
وراحت تهزُّ جماليَ في المهدِ
مثلَ اهتزازِ المراجيحِ تحتَ غصونِ الشجرْ .

لم يكد صوتُ ترنيمةِ المهدِ
يُسكرني بالموسيقى
ويسحرُ سمعي غناءُ العصافيرِ
حتى تدلّتْ على ناظريَّ الثرياتُ
صافيةَ النورِ
واستغرقتني سماءٌ من الزقزقاتِ
فأزهرَ قلبي كبرعمِ لوزٍ وسُرْ .

كانَ نهرُ روائحَ يرحلُ بي فائحَ العطرِ
بين روابي الطفولةِ
حيثُ الشموسُ التي طلعتْ شهوتي
من صباحاتها كالطيورِ
ولونُ السماواتِ
صافٍ كماءِ البحيراتِ
تسلبُ ألوانهُ الزرقُ شمسَ البصرْ .

لم تكن بعدُ رؤياي غير عصافيرَ
تزقو على الغصنِ
ما نبتتْ في يديَّ البراعمُ
كي أشتهي القطفَ
لكنَّ تفاحةَ المشمشِ المشتهى في النهودِ
استدارت لعينيْ
كما يستديرُ لناظرِ طفلٍ
جمالُ القمرْ .

فرأيتُ عناقيدَ أينعها الصهدُ،
سكرى ، على أمِّها في التشهي
تسقسقُ تحت غصونِ الأنوثةِ
فاندلعَ اللوزُ في جسدي كالوحامِ،
وراحت ثعالبُ أوردتي
تتراكضُ زرقاءَ فوق المروجِ
التي رعرعتني بأنسامها كالربيعِ
إلى أن تلاشى انحلالُ الشموسِ بماءِ المطرْ .

وسمعتُ احتكاكَ الجذوعِ بناهدِ ريحٍ
تراهقُ مثل غزالِ الينابيعِ
فارتعشت نشوتي كالنوافيرِ
في الأمسياتِ
وراحت تعضُّ على رغبتي
خوخةُ النهدِ تاركةً
نقطةَ العسلِ العذب في شفتي القانيه .

فجأةً طاشَ قلبي كالقشعريرةِ
بين الشرايين
حين تنزّلَ فوقي زقاءُ النهودِ
التي ضوّأتها الأنوثةُ مثل القناديلِ
فاستسلمتْ شهواتي لتفاحِ زهرِ الصدورِ
إلى أن غدوتُ ضريراً لمرآهُ
وهو يطيرُ كغيمةِ صيفٍ مورّدة اللونِ
فوق جوانحِ نَهرْ .

فانحنيتُ أعبُّ النبيذَ من النبعِ عبّا ،
وأرضعُ من ثدي والدتي الأرض سرَّ الحياةِ
ولكنني ما ارتويتُ
فرحتُ حزينَ الرؤى أتأمّلُ أسرارها
مثلما يتأمّلُ سكرانُ
سرَّ النبيذِ المعتّقِ في الخابيه

وكما يستحمُّ جمالٌ بجدولِ أنثاهُ
فوقَ بحيرةِ صبحٍ
سمائي استحمّتْ بزرقتها المشتهاةِ
وقد عطَّرتْ جسدي بالرياحينِ

رائحةُ الخلقِ عابقةً ..
وتقوّسَ فوقي بسبعِ شموعٍ ملوّنة النورِ
قوسُ المطرْ .

فشببتُ كغصنٍ شجيّ الحفيفِ على جانحِ الريحِ
أوّلُ شتوةِ غيمٍ تبللتُ في دمعها أغرقتني
وقد راحتِ الروحُ ترفعُ أفواهها كالرضيعةِ
نحو غماماتها العاليه .

وبأوّلِ طلعةِ صبحٍ
رأيتُ ابيضاضَ الوجوهِ
التي سالَ قلبي على زهرها كالحليبِ
رأيتُ الفناجينَ مثل رؤوسِ البلابلِ
بين شفاهِ النساءِ المدمّاةِ كالوردِ ..
والرشفاتُ تأوّهُ ماءِ النوافيرِ
في مشهدِ الغيمةِ الباكيه .

زهرةً .. زهرةً
كان قلبي ينبتُ بين الشتولِ
وباصرتي تستديرُ كعبّادِ شمسٍ إلى النورِ
طيرانِ طفلانِ كانا على كتفيّ يهزّانِ كالوترينِ
أغاني الصباح
فتسقطُ فوقي الحروفُ الصغيرةُ
مثل الحصى
والقصيدةُ تعلو عليّ
كما يتعالى هلالٌ صبيٌّ على ساقيه .

حينها انسابَ خيطُ نسيمٍ رقيقِ الأسى
عبر صدغيْ ،
وبصّرني الثلجُ ما يُشتهى في النساءِ
وما يتنزّلُ في سلّةٍ من سحابٍ عليّ
إذا أسكرتني نهودُ امرأهْ ..
وبريحانها حملتني كعطرٍ إلى أول الرابيهْ
* * *
آخر الصيفِ
رحتُ كطفلٍ شقيٍّ أذوقُ الثمارَ التي طعمها طابَ ..
ألعقُ ما يتحلّبُ من عسلِ التينِ

كانت خدودُ العناقيدِ ناضجةً
تتلألأُ تحت دوالي الغروبِ
وخمرتها نقطةً نقطةً
تتعتّقُ في الخابيه .

كنتُ أعتصرُ الخوخَ كالنهدِ في راحتيّ
فأشعرُ رائحةَ العشبِ ترشحُ من جسدي
كشميمِ الصنوبرِ في الحرشِ
أشعرُ أنّ الزهورَ استحالت إلى سربةٍ من بلابلَ
أنّ السنونو استحالت إلى زقزقاتٍ
ومن فرحي نبتت ليَ أجنحةٌ
خافيه .

ذلكَ اليوم لم أدركِ الصيفَ
غيرَ حساسينَ سكرى بأصواتها في الغصونِ
ولكن رأيتُ الغدائرَ سارحةً في مهبِّ الأنوثةِ كالهدهداتِ
رأيتُ السفرجلَ أبيضَ فوق حقولِ الطفولةِ ،
والأرضَ ضاحكةً
تستحمُّ على حجرِ الصبحِ مثل الصبيّةِ
تاركةً شعرها ليسيلَ سنابلَ في آخرِ الأوديه .

* * *
في الخريفِ جلستُ كحطّابِ حزنٍ
على بابِ بيتٍ قديمٍ
أراقبُ أرضَ الحصيدِ الحزينةَ
ساكنةً في أفولِ الشموسِ الكئيبْ !

صارَ ماءُ الجداولِ دمعاً لتفسيرِ حزن العيونِ
وصوتُ الرياحِ موسيقى معذبةَ القلبِ
تبكي على شجرِ الحورِ
صارت زهورُ الحديقةِ أجراسَ نعيٍ
ترنُّ برجعٍ كئيبْ !
ها هي اليوم ترحلُ عني الطيورُ الرواحلُ
وهي تصفّقُ يائسةً كأغاني الوداعِ ..
وترجع نحوي الغيومُ الرواجعُ
ممطرةً من مراضعها
لبناً للغريبْ !

غابتِ الشمسُ خلف سماءٍ مقمّطةٍ بالدموعِ
ورانَ الأسى في الجبالِ
وقوسُ الهلالِ المقدّسِ تحت أساهُ السماويّ
يسبحُ مستغرقاً في سبيلِ المغيبْ .

لم أرَ العمرَ إلا تعاقبَ فصلينِ
شمسُهما دمعةٌ تتألّقُ في القلبِ ،
والأرضَ غيرَ معاطشَ أفواهُها
تتشقّقُ ظمآى
لتلقفَ كالقبرِ ثديَ الحياة الحبيبْ .

* * *

أوائلَ فصلِ الشتاءِ
شعرتُ بروحيَ تغرقُ في مطرٍ رائعٍ
وتسيلُ كماءِ الميازيبِ صافيةً كالدموعِ
وقلبي استحالَ جداولَ مملوءةً بالحليبِ
تخوّضُ في كلّ حقلٍ لريّ الربيعِ
ونفسي سكرى ، مؤنّثة ، تحت قوس القزحْ .

وشعرتُ بأنّ السحابَ المسافرَ يأخذني من يدي
إلى اللهِ
وهو يصبُّ على الكونِ ماءً قراحاً
ويجلسُ مبتهجاً في سماءِ الفرحْ .

مشمسٌ جسدُ الصبحِ بين الينابيعِ كان ،
الطبيعةُ كأساً فكأساً
تصبُّ نقيعَ الغيومِ على العشبِ
والصحو تضحكُ أقداحُهُ في فضاءِ المرحْ .

فأحسُّ بنفسي تذوبُ
كقطعةِ ثلجٍ بماءِ القدحْ .

ناظراً نحو باصرةِ النورِ
في أفقِ ماطرِ الغيمِ
أبصرتُ بقعةَ شمسٍ تزولُ وتظهرُ
عند انقشاعِ الغيومِ

كما طائر في المغيبِ بكى برهةً وصدحْ .

فجأةً صارَ لونُ الشتاءِ شديدَ الشحوبِ
وراحت غماماتُهُ تتلاحقُ ناعبةً في المغيبِ
فأدركتُ أنّي هرمتُ
وأنّ المراكبَ تطلقُ أبواقها للرحيلْ !

فرجعتُ غريباً إلى الدارِ
يعتصرُ الحزنُ قلبي
وتدمعُ مني العيونُ
رأيتُ التصاويرَ تبكي التصاويرَ
والقبراتِ على أختها القبراتِ
رأيتُ الكمنجاتِ قد جوّفتها الليالي
وحزناً عميقاً يحدّبني فوق صدرِ الترابِ
وديدانهِ الجائعه .

فالحياةُ التي كنتُ أقطعُ أعوامها كالقطاراتِ ليلَ نهارَ
استحالت إلى سلحفاةْ
ولم يبقَ مني سوى رئةٍ
عشّشَ التبغُ فيها
وأعضاءَ مثخنةٍ بالجراحِ
وقلبٍ يجاهدُ مثلَ حصانٍ عجوزٍ
طريقَ الحياة الطويلْ .

ها أنا اليومَ أجلسُ قربَ سريري القديم
وقد رقدتْ قرب قلبي الحماماتُ ذابلةَ الريشِ
والحزنُ عمّرَ في داخلي
أتخيّلُ تلك الغيومَ سلالاتِ حزنٍ
مسافرةً كالملاءاتِ في أشهرِ الحزنِ
والسنواتِ العتيقةِ أوراقَ حبّ
ترفرفُ شاحبةً في حبالِ الأصيلْ .

ماء المرأة البيضاء

المرأةُ البيضاءُ
ذاتُ الصمت والإصغاءِ ...
منحلاً على وجهِ الغديرِ جمالها الورديُّ
كانت قربَ نبعِ الصبحِ
تملأُ كأسها الفضيَّ بالماءِ القراح
وقلبها الشفّافُ ينبضُ مثلَ موجٍ
رائقِ الجريانِ في ماء الغروبْ .

تنحلُّ شمسُ بياضها الصافي
ضياءً أنثويّاً (أبيضاً) سكرانَ
في الأبصارِ ،
والرمان يهطلُ مسكرَ القطراتِ
من نحر حليبيّ العذوبة والطيوبْ .

يا ليتَ لي امرأة
تربّي العطرَ بين أنوثةِ الأزهارِ في أصصِ الصباحِ
ووجهها الورديُّ يسبحُ في موسيقى العطر
مثل المزهريّةِ ، مشتهى ماء القلوبْ !

لأرى انعكاسَ صفاءِ لونِ العينِ في الأزهارِ
شفّافاً كماءِ الآسِ
والقبلَ التي لا تُشتهى
إلا على مرآى شروقِ الشمسِ
بين شفاهها السكرى تذوبْ .

لأشمَّ كالنعناعِ فوحَ نسائمِ الريحانِ
أو غيبوبةَ العطرِ المراهقِ
في انسدالِ الشعرِ حتى الخصرِ
في تكويرةِ التفّاحِ قبل قطافهِ عن أمّهِ الخضراءِ
حينَ يفوحُ ماءُ عبيرها فوق السهوبْ .

يا ليت لي امرأة
لأسقيها خزامى الكأسِ بالنعناعِ
كي تُروى رواءَ الروحِ

أو لتكونَ لي سمّي الذي أُسقاهُ عند الموتِ
مسرايَ المؤنثَ في ازهرارِ سماءِ ليلِ الصيفِ
نحو معارجِ العشاقِ
حيث البدرُ مجروحٌ بشهوتهِ
ومحروسٌ بأخوتهِ النجومُ
يضمّهُ ليلٌ حليبيّ
وتغسلهُ بماءِ النورِ ربّاتُ المساءْ .

حيث الكنائسُ عالياتُ الحزن
يسبحُ صمتها في الليلِ كالأسرارِ
يصعدُ ضوؤها المولودُ من ندمِ الشموس
إلى مصافي الحزن كي يبكي يسوعاً ضاعَ
والتسبيحُ تحتَ ملامسِ الأجراسِ
يوقظُ مريمَ الثكلى على كلّ البكاءْ !

حيث القصائدُ مسكراتُ الرجعِ
ترفعها إلى الإعجازِ أسرارُ المجازِ العذبِ
ترفعها إلى يائيّةِ العشاقِ
قيسيّاتُ ليلى العامريةِ
كي تصيرَ كليمةَ العذريّ في نجواهُ
والقطعُ الصغيرةُ من جمالِ الصوت
تصعدُ سلّمَ الإنشادِ في هيمانها الصوفيّ
ياءً بعد ياءْ .

المرأةُ البيضاءُ ...
تسميةُ النعومةِ بالحماماتِ الصغيرةِ ،
أوقطاةِ الصبحِ عند هديلها الشفّافِ
تسمبةُ العذوبةِ بالرؤى ، ورهافةِ الأطيافِ
بالضوءِ الذي ينشقُّ عن ماءِ الأنوثةِ
عارياً كالأقحوانةِ ،
صافياً مثل الهلالْ .

هيَ عشقنا للغيمِ قبلَ هطولهِ في بركةِ الرغباتِ ،
خيطُ الحزنِ مشدوداً على وترِ الحنينِ المرّ ،
رغبةُ روحنا بالموتِ في الوطنِ المؤنثِ
كي نصيرَ تموّجاً أعمى على وجهِ الرمالْ .

هي توقنا للنومِ في مجرى المياهِ العذبِ
كالأطفالِ
عودتنا إلى رحمِ البدايةِ سابحينَ
لكي نهوّمَ في سماءِ اللونِ أطيافاً
يخلّقها الخيالْ .

محدوداً فوقَ الغديرِ
كجذعِ صفصافٍ قديمِ الدمعِ
أبصرُ في مرايا الماءِ أطيافَ النساءِ ،
أرى هبوبَ جمالهنَّ المشتهى
يعلو على مرأى البياضِ الطلقِ ،
والثلجَ الذي ينحلُّ من أجسادهنَّ
كسائلٍ أعمى
ليتخذَ الأنوثةَ جدولاً ويسيل ..
مبتعداً إلى بركٍ سيشربها الغزالْ .
وأرى اغتسالَ المرأةِ الشهَّاءِ بالمطرِ الرضيعِ ،
أرى فتاةً حمَّمتها الشمسُ بالصابونِ
في ماءِ الغيومِ
لكي تصيرَ عروسةَ العشّاقِ
حين يلوّحُ الرمّانُ في شجرِ الصباحِ ..
أرى نهوداً عذبةَ التفاحِ
يرشحُ من تشهّيها رحيقٌ عاطرُ الشهواتِ
في الماءِ الزلالْ .

لو أنني يا نهرُ أُعطيتُ الطفولةَ
لاتكأتُ على ضفافِ الماءِ كالصفصافِ
أسمعُ صوتَهُ المنسابَ في الأسماعِ كالأجراسِ
والمهدُ الذي تهتزّ فوق وليدهِ الأغصانُ
مهديْ !
لو أنني يا نهرُ أُعطيتُ السكينةَ
لانحنيتُ على حليبِ النبعِ كالمفطومِ
أنهلُ نهلةَ الظمآنِ
من حرّي وبَرْدِي !
لكأنَّ سطرَ الماءِ تحتَ محابرِ الصفصافِ
خيطُ اللذَّةِ المسروقُ من ضوءِ العيونِ السودِ
خيطُ حنيننا الموصولُ بالأمِّ البعيدةِ

قبلَ أنْ تغدو الحياةُ تطلّعاً من شرفةِ الماضي
إلى ندم السماءْ .

وكأنَّ المرأةَ البيضاءَ آخرُ ما نحبّ ُمن النساء ْ .

يسوعيّة قدّيس

من دونِ رفيقٍ يشفقُ
وأنيسٍ يؤنسُ
أو تتزايلُ في عينيكَ ظلالُ جليسْ !
في صمتِ مصلاي وتحتَ سكينةِ صومعتي
وأنا أتملاكَ بعينيَّ حزيناً يا أبتي القديسْ ! ..
أتملاكَ عشيّةَ سبتِ النورِ
تضوّأُ قنديلَ الدمعِ بجمرةِ عينيكَ
وتبدأُ قدّاسَ الحزنِ لروحِ الراهبِ
فالحزنُ قداديسْ !

أحسستُ بطهرانيّةِ روحكَ تغسلُ روحي بالغصّاتْ ..
ودموعكَ تهطلُ من عينيَّ على صدري كالجمراتْ ..
وصلاتكَ في أسماعِ الليلِ نواقيسْ .

باكٍ مشطورَ القلبِ تطلّعتُ إليكَ
فأبصرتكَ أسيانَ
تذوبُ كشمعة نسكٍ قدّامَ العذراءِ
وحزنكَ ينحلُّ كخيطِ حليبٍ فوق إناء الفجر الشفّاف
ووجهكَ يثلجُ نورْ ..

أبصرتكَ سكرانَ حزيناً كالكأسِ المكسورْ !

وبصرتُ بعينِ العاشقِ ضوءَ هلالكَ في الأفقِ الأزرق
يُرعشُ روحَ الراهبِ بالتقديسْ !
سبحانَ سماءِ الليلِ السكرى يا أبتي القدّيسْ
ساهمة كالعذراءِ
تلقّمُ ثدييها ليسوعِ الليلِ
ومن سرّتها ينبعُ ينبوعُ الموتِ
وتسرحُ أنهارُ الميلادِ
فتشربها الأنهارُ العطشى
والأطيافُ الروحانيّةُ تسبحُ في نهرِ اليخضورْ .

أبتاهُ أتبصرُ في الأيقونةِ نوراً أسودَ
يبكي قربَ بياضِ أخيهِ النورْ ؟
هل تبصرُ إمرأةً واقفةً قربَ الينبوعِ الباكي

تنحلُّ حفيفاً وتذوبُ دموعْ ؟ ..
أو راهبةً تبكي من فرطِ جمالِ الينبوعْ ؟
هل تبصرُ مريمَ في وحدتها الأزليّةِ
ترغي فوق الجسدِ الأبيضِ صابونَ النورْ ؟
أو قلباً بشريّاً يتلامعُ أحمرَ تحتَ مساءاتٍ من بلّورْ ؟
هل تبصرُ في عينيَّ هلالينِ رضيعينِ
ومغربَ شمسٍ ثكلى
ونساءً ذابتْ في شكل شموعْ ؟!
هل تبصرُ قدّيساً يغسلُ عينيهِ من الدمعِ
ليبصرَ حزنَ أخيهِ القدّيسْ ؟!
ما أنبلَ حزنَ العابدِ يا أبتي ..
ما أصفى عين الرائي والجوُّ فراديسْ !
ناظرةٌ أبداً عبرَ عيونِ النساكِ
إلى وجهِ يسوعَ المعكوسِ على صفحةِ ماءِ الليلِ
كطيفِ ضياءٍ صافٍ ، صفوانْ !

وجهٍ منحوتٍ من صدرِ فتاةٍ أبيضَ
يتدلّى كالتفّاحةِ في بئرِ الصبحِ السكرانْ !
يتكوّرُ كالقمرِ البارِدِ في بردتهِ البيضاءِ
ويقطرُ فوق نواظرنا ماءَ الليمونِ الظمآنْ !
هل تبصرُ شمسَ مغيبٍ تتلفّعُ باللونِ الغامضِ
وتميلُ على الأفقِ اليائسِ
كالقلبِ الحرّانْ ؟
ما أجملَ أن تتراءى من شباكِ الليلِ الصامتِ
روحُ يسوعَ ترفرفُ كالقزحِ الأزرقِ
تحتَ سماءٍ دامعةِ الصلبانْ !
تُسْقَاهُ عيونُ الزهّاد الظمآى
فتذوبُ الأبصارُ بماءِ الرؤيا
ويفوحُ أريجُ الزهرِ المسكرُ وعبيرُ الآسْ .
ما أجملَ أن تتدلّى ككؤوسِ الخمرِ
ثريّاتُ أساهُ على أفواهِ الناسْ ! ..
فتظلُّ الأبصارُ سكارى
تشربُ من رقراقِ النورِ
سلافَ الكاسْ !
ما أجملَ أن يُسْكِرَ عينيكَ القمرُ الورديُّ وأنتَ تموتُ
ويسقيكَ الموتُ بكفّيهِ جمامَ الروحْ !
أيحينُ الموتُ فلا تبقى إلا التلويحة للأيدي ،

والدمعةُ في العينِ
وغصّاتٌ في القلبِ المجروحْ ؟
أيجيءُ الموتُ فلا يتركُ غيرَ هواءٍ مرٍّ في الأنفاسْ ؟
أهِ أباه ..
برغمِ الوحشةِ والشيخوخةِ
والميتةِ في القلبِ
تظلُّ صغارُ الحزنِ غراسْ !
فاذهلْ بصلاتكَ ما أصفاكَ وأنتَ تصلّي
بينَ الأيقوناتِ
وحولكَ تتلامسُ حلماتُ الأجراسْ !

التسبيحُ يصيخُ إليكَ
ويسمعُ موسيقاكَ الإنشادُ الإنجيليُّ الصافي
وتصاديكَ سواسيةً جوقاتُ تراتيلِ القدّاسْ .

صلِّ لتبني الأرواحُ على أغصانكَ
أعشاشَ سكينتها
وتزقزقُ راهبةً بعذوبةِ صوتِ العصفورْ !
صلِّ لنبصرَ حزنكَ مغروساً في أرضِ الصبحِ
كغصنِ النورْ !
فالظلمةُ ناعمةٌ
وسماءُ الصيفِ مآذنُ من بلّورْ ..
صلِّ لأجلِ طلوعِ الشمسِ
المذبوحِ على حجرِ النورْ !..
شمسٌ تولدُ من بين بشائرِ نهديها
وتحلّقُ أزواجُ طيورْ ..
صلِّ على صدرِ الأيقونةِ علَّ الألمَ الظاهرَ للناظرِ
كالحزنِ الطاهرِ
يرشحُ زيتاً في أعيننا
فنسمّيكَ على حيرتنا الأسقفَ والقسّيسْ .
ناقوسُ الليلِ يدقُّ وجيعاً
والدنيا نائمةٌ في حضنِ الفردوسِ
ومرآى الأقمارِ فوانيسْ !
أوَتَعْرِفُ من يبكي في أعماقي يا أبتي القدّيسْ ؟
أجدادٌ نهلوا من حزنِ الرهبانِ
وظلّوا خلفَ جدارِ الظلمةِ كالأغرابْ ؟
أم نسّاكٌ صلّوا الصبحَ وذابوا في التقديسْ ؟

أم جدّاتٌ يجدلنَ خيوطَ الليلِ على الأبوابْ ؟

بعد المغربِ غنّيتُ حزيناً
من وحشةِ ضيقْ !
رحلتْ أيّامُ العمرِ وغابَ الأحبابُ
وضاعوا في كلِّ طريقْ !
فقعدتُ بقلبٍ دامٍ أبكي حاجةَ روحي خلفَ البابْ .
. . أجمعُ غصّاتي بين يديّ
ودمعاتي في عينيْ
وأصبُّ الخمرةَ من قلبي في حُقِّ صديقْ !
أوتعرفُ يا أبتاهُ لماذا نبكي كيتامى خلفَ البابْ ؟
ولماذا ينكبُّ عجوزٌ ليفتشَّ في التربةِ عن رممِ الأحبابْ ؟
ولماذا ندمي عالي ، وبكائي صعبُ التصديقْ ؟
بصّرني يا أبتي لأراكْ !
إنَّ حفيدَ مراثيكَ النادمَ يتطلّعُ في عينيكَ فلا يلقاكْ !
لكأنَّ غياباً يتأمّلُ في أفقِ البحرِ بكاءَ الغيَّابْ .
ما أبلغَ يتمكَ في هذا الوقت
وساعاتُ أسايَ كساعاتِ أساكْ !
بصّرني يا أبتاه فقد كلّتْ عيناىَ من التحديقْ !
لا تتركني من دونِ أنيسٍ يؤنسُ
أو عطفِ رفيقْ !..
مذروفاً كالدمعةِ في ماءِ الإبريقْ ...
أنخلُ في الريحِ رمادي كالبدويّْ ...
وأجرُّ على وترِ الحسرةِ قوسَ ربابٍ
فيحزُّ كسكّينِ الحزنِ شراىينَ يديْ !
لا تتركني أنحلُّ بغصّاتي في ماءِ الليلِ الأعمى ..
بدمائي في آنيةِ الدمعِ الملآى
وأدقُّ تعاسةَ روحي في جرنِ الندمِ الحجريّْ !
بصّرني زهراءَ الأفقِ الطهرانيّْ!
لتلوحَ لي الرؤيا
فعماي كقاعِ البئرِ عميقْ .

لا قزحُ العذراءِ سقاني ألوان الطيفِ
ولا يتورّدُ ضوءُ غروبِ الشمسِ
على وجناتِ صديقْ !
لكن حين يذوبُ الليلُ
وينحلُّ الصبحُ الأبيضُ في كأسي

قدسيَّ الأسرارْ ..

لا أبصرُ غيرَ عيونٍ ذائبةٍ كالماءِ الأزرقِ في الإبريقْ .

أو أسمعُ غيرَ (عصافيرٍ) تتنزّلُ من أغصانِ الجنّةِ كالأرواحِ
لتوقظَ بالتغريدِ قلوبَ الأزهارْ .
ما أعذبَ أن تسمعَ وقتَ صلاتكَ
هذا الصوتَ الأندلسيَّ
على شجرِ الموسيقى يترقرقُ كالأوتارْ !
ما أجملَ أن تبصرَ فوق بساتينِ اللوزِ
هلالاً يسكرُ في الأسحارْ !
فتهدهدُ عينيكَ بإغماضةِ حبٍّ
وفؤادكَ بالإغفاءةِ :
إهدأْ ، صلِّ ،ونَمْ !
فالدنيا نائمةٌ في حضنِ الفردوسِ
وقنديلُ الضوءِ الصافي
يتلألأُ ورديّاً من شبّاكِ الدارْ !
والأرضُ على ضفّةِ نهرِ الفجرِ
تمدُّ ذراعيها البيضاوينِ
لتغسلَ قرصَ الشمسِ بصابونةِ نهديها
وتشكّلَ من ماءِ اللذّةِ أكوازاً وكؤوساً وفوانيسْ !

ما أسعدني في هذي الإشراقةِ يا أبتي القديسْ !
روحي سربُ حمامٍ والجو فراديسْ .

الشاعر يتأمّل في الليل

منتصف الليلِ ..

وساعاتُ العزلةِ موغلةٌ في الصمت
وأجراسُ الحزنِ تدقُّ بيأسٍ وأنينْ .
جلسَ الشاعرُ .. يتأمّلُ في سكراتِ الليل حزينْ !
يتأمّلُ أصناماً راضيةً بالموت
يزايلها صمتُ الكهّانِ وأحزانُ القدّيسينْ !
كنتُ وحيداً في دنيايَ
وآهاتي تملأُ رائحةَ البيتْ .
أقرأُ قرآنَ الليلِ على قبرِ زمانٍ ميتْ !
فإذا بامرأةٍ سوداءَ ، مجلّلة بالدمعِ
يقطّرُ حزنٌ أسودُ من عينيها ،
ويسيلُ اليأسُ على قمصان كهولتها
قطراتِ بكاءْ .
تنظرُ في وجهي المسكون بأوجاعِ الغربةِ
كالراهبةِ الخرساءْ !
: من أنتَ
لتستوحشَ في أوقاتِ العزلةِ
ساعاتِ شقاءِ الناس ،
وتسكنَ وحشةَ نفسكَ كالغرباءْ ؟!
رجلٌ أتعبهُ الحزنُ فأغمضَ عينيهِ ليبكي
أم سكّيرٌ يزهدُ في ملكوت الليل
ثكالى العمرِ المهجورِ ،
ويقرأُ إنجيلَ الحزنِ الدامي ؟!
فأجبتُ بصوتٍ مذبوحٍ : لا يا أمّي !
لا هذا ولا ذاكَ
فقط أغسلُ روحيَ بالدمعِ
لتبرأَ عينايَ
وأصغي لعويلِ الكونِ الضائع في الأرجاءْ !
أصغي كي أملأ نفسي بنحيبِ النايات المكسورةِ
والأصداءْ !
أصغي فتفيضُ بروحي الحسراتُ ،
ويهطلُ حزنٌ ليليٌّ كالخمرةِ من دنيايَ
فأملأ نفسي بدموعي كإناءْ .

يا مريمُ ماذا أفعلُ بالعمرِ
ورحي في الغربةِ إكسيرُ مراث ،
ومواويلُ حداءْ !
فالوحشةُ قاتلتي والعمر خواءْ !
وأنا وحدي في هذي العزلةِ
ألتمُّ على جسدي الموهنِ
كعجوز مهجورٍ ،
وأكبُّ على نفسي كالنسّاكِ ...
فتغرقُ في بئرٍ نحيبْ !
وأمدّ يديّ العمياوين
لأشعلَ قنديلَ الروحِ الأعمى
في الظلمات العمياءِ
قيسقطُ ضوءُ هلالٍ في الصمت كئيبْ !
يا قمرَ الصيفِ تغمّدْ حزني بالدمعِ ،
ويأسي المرفوعَ على جدرانِ الريح
بغصّات ووجيبْ!
فالشاعرُ ظمآنُ
يلفُّ الروحَ بأكفانِ الحزنِ البيضاءِ ،
ويبكي منكسرَ الروح ، غريبْ !
يا قمر الصيفِ الطالعَ
من رحم الليلِ الشرقيّ
أنا وحدي
أبحثُ عن بشرٍ مثلي
لكن لا أجدُ الناس سوى غرباءْ !
(لا أحدٌ) يسمع صوت أخيه :
أغثني ياجاري !
فبحقّ بكائك من أجلِ رغيفٍ
ينهبه الدودُ
ويقضمُ أطفال الميتمِ كسرته
المبلولةَ بالماءِ أغثني !
هِيْ يا جاري الطيّبَ !
هل تسمعُ صوت بكائي ؟
رائحةُ الورد تهبُّ على نفسي من شرفتكم
وأنا أضعفُ من شيخٍ يبكي
في وحشة داري !
فانزلْ من عليائكَ ياجاري !
كي نشربَ في هذا الليل الأعمى كالكهّانِ

ونصغي لبكاءِ الكونِ العالي !
اهبط كي نغمضَ أعيننا من تعب الدنيا
الظالمةِ ونبكي !
اهبطْ كي نحفرَ في الأرض المهجورة
بحثاً عن ندمِ الشهداءِ ونبكي !
اهبطْ كي تلمسَ بأناملك المشغوفة أوتاري ،
كي تقطرَ من زيتونةِ حزنكَ في جرحي ،
وتدفّأ ناري !
اهبطْ من عليائكَ يا جاري ..
لأراكَ فقيرًا وغريباً ووحيداً وتراني !
ولأسمعَ صمتكَ وهو يئنُّ
فلا أعرفُ في أيّ مكان في الأرضِ ينوحُ كماني !
طولَ الليلِ ينامُ على كتفيّ كماني ،
يغفو تعبانَ ويرضع دمعاً وأنيناً من عَفَقَاتِ بناني .
أوّاهِ من الوحشةِ يا جاري !
يا سبحانَ جمال ابنتكَ
السائلِ كالماء الجاري !
عيناها نبعانِ من الدمع
وطلعتها قمرُ الحنّاءِ الساري !
زوجنيها يا جاري !
كي أدفنَ حزن الروحِ
كمنقارِ الهدهد في الصدر العاجيِّ العاري .
زوجنيها كي تغسل بأصابعها الزيتونيّةِ
قمصاني البيضَ
وتنفضَ عن صدأ الروح غباري !
زوجنيها لتطرّزّ بالإبرِ الفضيّةِ
فوق محارمها المبيضّةِ أشعاري !
زوجنيها يا جاري !
فالخمرةُ رائقةٌ والكونُ رنينْ !
وأنا كالميتِ ضعيفٌ وحزين !
أتأمّلُ نفسي وهي تشيخُ وأبكي ..
أتأملُ قلبَ الإنسان النادمَ في الآحادِ وأبكي !
أتأمّلُ صمتي القابعَ كالميتِمِ في أرجاء البيتْ .
امرأةٌ تشبهُ أمّي
سألتني
ماذا تفعلُ في هذا الوقتِ الموحشِ يا ولدي ؟
فبكيتْ ..

لاشيء سوى أني
أقرأ قرآن الليل
على قبر زمانٍ ميتْ !
قالت : لكنكَ تبكي ؟
قلتُ : حزينٌ يا أَمَتِيْ !
قالت لكنك خائفْ ؟
قلتُ : وحيدٌ لا أبصر إلا شبحي الأعمى
يتجوّلُ في عتمةِ صمتي !
أبكي وأنا أسمعُ أصواتاً تبكي ..
أبكي وأنا أبصرُ في الليل
وجوهَ الناسِ العزَّلِ تبكي ..
أبكي وأنا أترافعُ قدّامَ الكهّانِ بمظلمتي !
: يا كهّان الليل المنسيّين على أبواب العزلة
لم يبق سوايْ !
ما في دنياي سوى نفسي الخطّائةِ
فأعنّي يا صاحبَ قُرْبَايْ !
فأنا أعمى الليل ، وسكّيرُ العتمةِ ،
أشربها كالخمرِ
وأسكرُ في ظلماءِ أسايْ !
لا أحلم في شيءٍ غير الموتِ
أنا الضائعُ في صحراءِ الظلمةِ
ينزفُ وترٌ مقطوفٌ من ندمي الأسودِ
أوجاعَ الروحِ
ويذبحني في الليلِ صداعُ النايْ !
وتقطّعُ في أرجاءِ العزلةِ
ناياتُ الريحِ مواويل الموتْ !
... امرأة تشبهُ أمّي
ماتت في بيتي ..
فتمددتُ بجانبِ جثّتها وغفوتْ .
فالميتُ حبيبُ الميتْ .
صمتٌ
صمتٌ
صمتْ . . .

إكسير المحبين الحزانى

ناهلاً من مطر الغربةِ
ما يظمىء ُفي الروح رهابَ الموتِ
ما يغرقُ بالدمعِ بحيرات حياتيْ .
* * *
جفّفتني الشمسُ كالقشّ القديمِ ،
العمرُ أبلاني كثوبِ اليتمِ
واجتثّتْ عذاباتُ الليالي كلماتي .
* * *
... رهّبتني الريحُ كالشاعرِ في الأبراجِ
أرعى غيمها الوحشيّ ،
والحزنَ الكاتدرائيّ في قرعِ نواقيسِ الغروب
الميتةِ الأصداءِ
لا (هاويةً) أجعلُ من أعماقها مهوايَ
لا (بئراً) لألقي ظلماتي .
* * *
ندمي عالٍ وأوهامي عراكٌ بين ذئبينِ
عدوّينِ على جوهرةِ المعنى
كأنّي غرفٌ مهجورة يقرعُ في أرجائها الخوفُ
فلا نشداني الخاطىء للمجهولِ
أرساني على برّ
ولا لاحتْ لي الرؤيا كمنديلِ وداعٍ
لألاقي أمهاتي !
* * *
تائهاً أنفخُ في بوقِ النهايات
ليستيقظَ من نومهم الفانونَ
أو أقرعُ كالراحلِ طبلَ الليل
كي أستقدمَ الأسلافَ من أصنامِ ذكراهم
لينهوا غرباتي .
* * *
ها أنا كالصنمِ العاري على السفح
أرائي القمرَ الخالدَ في سجدته

كالشمعداناتِ السماويّة ..
أروي من لبابِ الوحشةِ المظلمِ عينيّ
كأنّ الليلَ منآي عن الموت ، ومأوى صلواتي .
* * *
لم أنلْ من ندمِ القلبِ سوى الحزنِ الحداديّ
كأنيِ طائرٌ يخبطُ في ليلِ الهواءِ الميت
بحثاً عن هلالِ الصيفِ كي يبصرني أبيضَ كالطفل
بريئاً من مواتي .
* * *
أيكونُ الموتُ إكسيرَ المحبّينَ الحزانى
أم ضياءً شاحباً في أعينِ العميان
أم تنويحةَ الليلِ الذي ينهضُ من صمتِ التماثيلِ
حزينَ الكائناتِ ؟
* * *
واقفاً كالراهب الباكي على بوّابةِ الدمعِ
بصوتٍ موجع
أقرأُ إنجيلَ المراثي في مساءِ العزلةِ السوداءِ
والحبرُ الذي تذرفهُ الحسرةُ في صومعةِ القلب
مدادُ النعواتِ .
* * *
... أتنادى كالمواويلِ مع الموتِ
وأرمي صوتي المهزومِ في كل الجهاتِ .
* * *
لكأني تاؤهُ البحّاءُ في الصحراءِ
أو جدوله الجاري مع الوديان
لا الأوتارُ تعجنني بحمّاها
ولا تُظهرُ لي من فرجةِ الحزن شموسي
غيرَ أطيافِ نساءٍ يتحلّلنَ مع الضوءِ
كخمرِ الروحِ في كأسِ السقاةِ
* * *
لم تريني شهواتي
غير بدرٍ غامض الأوصافِ
يرمي سيفهُ الكوفيّ في الصحراء
لا الحسرةُ ناياتٌ مع الريحِ
ولا الإنشادُ موصولٌ بأحزانِ المصلّينَ
ولا تُسمعني البيدُ حداءات الحداةِ .
* * *

شقشقَ الغيمُ
فذابَ القمرُ السكرانُ في الينبوع
صوفيّاً
وصارَ الليلُ تمثالَ دموعٍ لصلاتيْ

مساء لوجهها المتأمل

قلت لمرأةٍ
غارقٌ وجهها في أديم المساءْ
: أنت زهرةُ هذي الدموع
التي تتساقطُ في القلبِ
لكنها الآن ذابلة في إناءْ
* * *
فارفعي ناظريك إلى منبع الدمع
إنّ فؤادي يغمّ ويبكي
وعيناكِ عند مغيبِ البحيرة
ورديتانْ
أشعرُ الحزن مرتحلاً فيهما
كحمام الغروبْ
وأحسُّ مئاتِ القلوبْ
تترقرقُ طيبتها بالحنانْ
في ارتعاشةِ عينيك
ذات الأسى والرثاءْ
و أحسُّ بأنّ الكمانْ
ساكتٌ خلف نافذةِ أطفأتها السماءْ
يتكبّدُ أحزانهُ القاتلهْ
* * *
قلتُ للمرأة الثاكله
: يا وفاء
أسمعيني الأناشيدَ في الليل
حتى أنامْ !
أسمعيني ...
الأحبّاءُ غابوا
وهجّتْ رفوف اليمامْ
عانقيني
لألصقَ قلبي بقلبكِ في لحظات الوداع ،
وأبكي على حفرة وضريحْ !
فخيوطُ العذابات تمتدّ ما بين صدري
وصدرك أوتارَ ريحْ !
غصّةً غصّةً تتمزّقُ أصداؤها وتموتْ ..

تتلاشى كخفقةِ قلبٍ ببحة صوتْ
ليتَ عينيك لا تدمعانْ !
ليت أيدي البنات الصغيرات
يغسلنَ جرحي وأغنيتي
بأصابعَ من بيلسانْ !
ليتهنّ يضمّدنني بضفائرهنّ
إذا شحبت أمسياتُ الشتاءْ
على نفسي الغائبه
* * *
قلتُ للمرأة الراهبه
: السلامُ على قمرِ الحزنِ فوق القناطرِ
لا توقظيني من الموت
من صمتهِ المشتهى في سآمةِ نايْ
ميّتاً سأعودُ إلى قريةٍ
شاخَ أيلولها الكهلُ
فانتظريني على شرفات مواويلك العاليه
زمناً من دموعٍ
ولا تتركيني سجينَ المساءات
أن الكماناتِ تسبحُ أسيانةً في أسايْ !
زهرةً .. زهرةً تكبرينْ
دمعةً .. دمعةً تسقطينْ
من شجيرةِ وردْ
والكهولةُ وحشةُ ريحٍ وبردْ
تلفحُ الأوجه الخائبه .
ردّتِ المرأةُ النادبه
مسحةُ الحزن في ناظريكْ
تُرجعُ الدمعَ مني إليكْ
والمغيبُ بعينيكَ خيطُ بكاءْ
قلتُ في وحشة واستياءْ
: ذات يومٍ سيأتي إلى عزلتي الأصدقاءْ
سوفَ يأتونَ مثل غناءٍ قديم الصدى
ليزيلوا عن القلبِ وحشةَ هذا المساءْ

هلالية الليل الطويل

الليلُ في البيداءِ
بئرٌ ميّتُ الأصداءِ ..
والصحراءُ راهبةٌ تحدّقُ في البعيدْ .

والريحُ ساكنةٌ كبحرٍ غارقِ الأمواجِ
تأكلُ قلبها العسلانُ في الفلواتِ..
والقمرُ المقدّسُ آفلٌ بضيائهِ
يتوسّدُ الكثبانَ
كالجرمِ السماويّ الشهيدْ .

لا ضوءَ يفقأُ أعينَ العميانِ بالرؤيا
لكي يتبيّنوا جهةَ الشروقِ،
ولا مآذنَ كي يسيلَ نداؤها النبويّ
غفراناً على ذاك الصعيدْ .
لا ضوءَ إلا الدمعُ
تذرفهُ شموسُ المشرقِ العزلاءُ
في تحديقها الباكي
إلى الرجلِ المهاجرِ خلفَ أطلالٍ وبيدْ .
أتكونُ هذي الأرضُ مثواي الأخيرُ
أموتُ في أصقاعها الشحّاءِ
ظمآنَ الفؤادِ
وفجرها في الغورِ مذبوحُ الوريدْ ؟
لأظلَّ أركض في بواديها السحيقةِ
شاهراً سيفي على الأيامِ ..
يتبعني صراخُ العزلةِ النائي
ومن قفرٍ إلى قفرٍ
ينائيني بكاءُ الريحِ في الليلِ المديدْ .

أيكونُ توأميَ المشرّدُ
ذلكَ السيَّارُ في استغراقهِ الليليّ
ينزفُ في ضياءِ الفجرِ
خطّاً (أحمراً) بين الطلولْ ؟
أم أنه شبحي الذي
أودعتهُ ليلَ الحياةِ
يضمُّ ضوءَ الصبحِ تحت جناحهِ المكسورِ

مرتحلاً وراءَ يسوعِ حزنٍ طالعٍ
كالطيفِ من شمسِ الأفولْ ؟

متكبّداً أوجاعَ هذي الأرضِ
أرفعُ كالمؤذّنِ دامعَ العينينِ
صوتيَ بالتسابيحِ الشجيةِ :
يا ملاكَ الموتِ ،
يا متخفّياً في طليسانِ الليلِ كالأشباحِ
اقبضْ هذه الروحَ التي ولّى تذوّقها
لأفراحِ الحياةْ !
لتنامَ في مجهولها الشبحيّ ظلاً من موات !
وبهيئةِ المكفوفِ أرفعُ ناظريْ متضرّعاً
: يا حاملاً للخلقِ إنجيليّةَ الآلامِ
اخفضْ ناظريكَ لكي ترى
تغريبةَ الطفلِ الذي يبكي على قدميكَ
غربةَ روحه في الكائناتْ !

فلقد رأيتُ خيالكَ الظلّيَّ محفوراً
على حزنِ الوجوهِ المتعباتْ .

وبكلّ زاويةٍ من الكونِ الضرير
ينوحُ مخلوقٌ على جثمانِ وحشتهِ
ويُسمعُ صوتُ نايٍ فاجعِ الأصداءِ
يغتصبُ المواجعَ في سويداءِ القلوبِ الباكياتْ !
ما ذلكَ الصوتُ المعذّبُ في أديمِ الريحِ
يملأُ بالغناءِ الصعبِ جغرافيّةَ الليلِ العميقْ ؟
ويدقُّ صلباناً بلا موتى على ذاك الطريقْ .
لا شيءَ غير (مقابرٍ) محروثةٍ بالحزنِ والصلبان
يحرسها سكونٌ ميّتٌ
وتسيلُ في أرجائها الثكلى صلاةْ .
و(مغاربٍ) مكلومةِ الصبواتِ
تغرقُ كالوجوهِ المستباحةِ في بحارٍ نائيةْ .
لم يبقَ غيرُ الريحِ
تجهشُ في مسامعِ روحيَ الظمأى
وفي قلبي يدقُّ الموتُ دقّاتِ السكونِ الفانيةْ !
لم يبقَ غيرُ (أصابعٍ) مغمورةٍ بالرملِ
ترفعُ وردةَ الندمِ الأخيرةَ

بين أنقاضِ الندمْ .

في جوفِ ذاكَ الليل
كانت وحدها الواحاتُ نائحةَ الحمائمِ
تستغيثُ بصوتِ حاديها..
وأشلاءٌ براريها..
وماءُ فراتها الضحضاحُ مخضوبٌ بدمْ !
وأنا أردّدُ في الرياحِ ضراعتي
كالشاعرِ الأعمى
ويشهرني العذابُ بوجهِ هذا الموتِ
كالصنمِ الأصمّْ .

عموا وحشة أيها الشعراء

عموا وحشةً أيها الشعراءُ المحبّونَ
يا أصدقاءَ السآمةِ
يا أشعياء الكآبة ..
يا رفقاءَ المحبّةِ والكلماتِ
...أشقَّاءَ نفسي الوحيدة في العالمينْ !

عموا وحشةً
و اجعلوني رفيقَ عذاباتكم في الليالي
ولا تتركوني وحيداً
تتعتعني الخمرُ بالسكرِ
مثلَ النديمِ الحزينْ !

وغنّوا إذا جنَّ ليلُ المواجيدِ
غنّوا بأوجعِ ما يستطيعُ لهُ القلبُ
عنّوا غناءَ عجوزٍ على أمسهِ
وغناءَ غريبٍ إلى أهله الضائعينْ !

فلقد أوحشَ العمرُ
وابيضّتِ الروحُ
واستفردتني بأنوائها أنفسُ اليائسينْ !

وجوهٌ بكيتُ لها واضمحلّت
والندامى الذين عصرتُ لهم خمرتي
رحلوا تاركينَ الكؤوسَ بدون رنينْ !

ولا تهجروني
بحقِّ الشموعِ التي أوقدتها الدموعُ
لنبصرَ فيها تصوّفَ أرواحنا المشتهاة ..
بحقِّ الكؤوسِ التي أسكرتنا
وظلنا لها ظامئينْ !

أما زالَ حزنُ العشيّاتِ مستغرقاً في العيون

وصوت الرثاءِ الذي يترجّعُ
في شجنِ الروحِ منهمراً بالأنينْ !

أما زلتمُ ..
غارقينَ بحبرِ أناجيلكم في الأغاني
تكبّونِ فوق الدفاتر مثل المصلّينَ
بحثاً عن الكلمات
التي تسكرُ الموتَ في النادمينْ !

كأني راهبُ هذا السواد الذي يتكفّنُ روحي
أضمُّ تصاويرَ من فارقوني
وأصغي لأصداء من صمتوا في سكوني
وأركعُ فوق التوابيت كالفاقد المستكينْ !

جفناي من ذرف الدموع

الريحُ نایاتٌ على الوادي وترحيلُ
والدمعُ في الأشجارِ تشربهُ المواويلُ
وكآبتي شيخٌ كبيرُ السنِّ
أنهكهُ الخريفُ

وراح يقرأُ في كتابِ الحزنِ أيلولُ !
أشعلتُ بالزيتِ المقدّسِ كي أراكَ
سراجَ أيامي القديمَ
فغصّتِ النایاتُ
وانشنقتْ مواويلُ !
وَنَحَتُ وجهكَ بالدموعِ على ملامحِ غربتي
لأراكَ قدّيساً على كلّ الحزانى يا أبي
فاستغرقتني وحشةُ الدنيا
وأبكتني الأناجيلُ !
أيكونُ لي مطرٌ ليقرأني الشتاءُ
وغربتي في الليل قنديلُ ؟
يبكي غيابُ الشمسِ في عينيكَ
غربتَهُ العميقةَ
والظلامُ محدّبٌ في الروحِ مشلولُ !
والقمحُ بعد رحيلكَ الأبديّ
ما مالتْ على وجهي سنابلهُ
ولا مسحتْ على وجهي المناديلُ !
جفناي من ذرفِ الدموع
ووجهكَ المقروءُ في الظلماء
إنجيلُ !
فأنا ضريرُ الروحِ كالرهبانِ
تمحوني وتكتبني الأناجيلُ .

الواقفون على الشرفات

الناظرونْ ...
ببصيرةِ النسيانِ في غيبوبةِ المجهولِ
والمستغرقونَ - كأنهم غرباءُ -
في دنيا الغروبِ وحزنها الطلليّ في الأغوارِ ،
في شفقٍ شديدِ الاحورار
يضلّلُ الرائينَ عن ديمومةِ التحديقِ
في الحزنِ الإلهيّ الذي يُعمي العيونْ .
* * *
والشاخصونَ كآخرِ الزهّادِ
في شمسِ الأنوثةِ وهي تسكبُ ضوءها
الورديّ في الأنهارِ ،
في الكبدِ السماويّ المكوّر مثلَ نهدٍ مقمرٍ
يسعى إليه العاشقونْ
* * *
والسامعونَ حداءَ قلبِ الأبجديّةِ
في انتحابِ قصائدِ الشعراءِ ،
في ألفِ الحدا المحمولِ بالحسراتِ
فوقَ دوائرِ الوجعِ المهيضةِ ،
في احتراقِ زفيرِ حرفِ الياءِ
وهي تذوبُ كالآهاتِ
في مُتنفّسِ الرئةِ الحنونْ .
* * *
والواقفونَ على الطلولِ
يحاربونَ تصرّمَ الأيامِ
بالصوتِ الندائيّ المشرّعِ فوق كثبانِ الفراقِ
كأنهم أصنامُ ماضيهم..
وقد آلتْ قصائدهم إلى الخسرانِ
وانقضتِ السنونْ .
* * *
والخائضونَ عبابَ بحرٍ فائضِ الأمواجِ
نسّاكٌ وعشّاقٌ وصوفيّونَ
ينتظرونَ في أفقِ العذاباتِ
انبلاجَ حمامةِ الحزنِ المقدّسِ من فراديسِ الأفولِ
ليحملوا الأكفانَ فوق أكفّهمْ ويهاجرونْ .
* * *

والساكنونَ إلى الكمنجاتِ الكفيفة
وهي تروي من حروفِ العلّةِ العطشى
مسامعَ أظمأتها الريحُ بالغصّاتِ ..
رافعةً نواقيسَ الدموعِ العالياتِ
إلى ضياءٍ شاحبٍ في أطلسِ الليل الخؤونْ .
* * *
والواقفونَ كأنهم صلبانُ أنفسهم
وراءَ مغاربِ الأطلالِ
يرتعدونَ من وحشيّةِ الإبصارِ في الأعماقِ
كالعميانِ ،
من شبحيّةِ الموتِ التي تعوي
كذئبٍ في بقاعِ العزلةِ القفراءِ
أو قاعِ الجنونْ
* * *
والنادمونَ
يكررونَ صراخهم في الريحِ
نشدانًا لأصداءِ العذاباتِ
التي ضلّت طريقَ الرحّلِ الغرباءِ في الصحراءِ ،
ملتفتينَ إلى أفولِ شمسِ الأرضِ
هابطةً بهامتها المهيبةِ في خضابِ الموجِ ..
تعظمُ خلفهم ضرباتُ طبلٍ موحشٍ
في غابة الندمِ الحرونْ .
* * *
والمنصتونَ إلى نواحِ الريحِ في القيعانِ
واسترجاعها الملسوعِ بالحمّى على الجدرانِ
مقبلةٌ ومدبرةٌ تفتّشُ كالضريرةِ عن مراثيها
لترفأ وحشةَ الفانينَ في ظلماتهم
..وتغصّ كالقصبِ الذبيح
على مطارحِ آخرِ الأسلافِ
حين تحيلها الحسراتُ رجعًا للمنونْ
* * *
والراكضونَ على طريقِ الموت
عكسَ تراكضِ الأشجارِ من نهرِ الولادةِ للمنيّةِ
يتبعونَ تعاقبَ الشمسِ الضريرةِ
بين شرقِ الموتِ أو غرب الجنونْ
* * *
الناظرونَ ، اليائسونَ الناسُ والشعراءُ

والحكماءُ والغرباءُ والمستوحشونْ .
أولى بمأثرةِ الجنونْ .

نهاوند ناي

على الناي
يبكي الكناريّ
واللوز يحترقُ ..
وصفصافة لا تملّ من الريحِ
ترجيعها موجعٌ
والحفيف بها شيّقٌ .. شيّقُ .
* * *
على الناي
طارَ حمامُك أخضرَ
تحت سماءِ الهديلِ
وطارَ غناؤكَ في بحّةِ الليلِ
أسيانَ .. مثل المواويلِ
فانكسرَ النايُ بيْ
يا أبيْ !
وتلاشى توجُّعُهُ المرهقُ .
* * *
على الناي
يهطلُ ثلجُ المساءاتِ
يهطلُ من أفقٍ غامضٍ
فوق سجّادةٍ للصلاةِ
ويجلسُ أيلولُ مستوحداً في الأعالي
فما للخريفِ وما لي ؟
وخمرُ القوارير في مشربي رائقٌ ..ريّقُ .

ما كان من أحد

لم يكنْ في ظلامِ العشيّةِ من صاحبٍ
ليخفّفَ من وطأةِ الليلِ يا صاحبي
أو حبيبٍ يردُّ عن الروحِ غائلةَ
الحزنِ عند الوداعِ
ولا راهبٍ في المساءِ رثاني !
* * *
لم يكن غير رجع غناء بعيد
يمزّقُ في النفسِ حزنَ الأغاني
* * *
فذبحتُ فؤادي على حجرٍ موحشٍ كاليتيمِ
وقلتُ انتظرني يا ليلُ
حتى أشدَّ جراحي
وأشعلَ من حطبِ الصدرِ ناراً
لعلَّ أنيساً يراني
* * *
وصرختُ على ظاهرِ الليلِ
هل في الدجى(أحدٌ) لأناجيه
مستفردٌ ،
أو غريبٌ عن الأهلِ
أو أصدقاءٌ قدامى
فما ردَّ غير الصدى
ضائعِ الصوتِ فاني
* * *
فصرختُ على شبحي في الظلامِ البعيد
أيا نازلاً هذه الأرض
كيفَ انفرادكَ في حفرةِ الموتِ
ها أظلم العمرُ
واستغرقَ الثكلُ في النفسِ
وارتدَّ حزنُ المغيبْ
* * *
قالَ :أنصتْ إلى الريحِ
حاديةً في الحواكيرِ
أنصتُّ حتى بكيتُ وحتى انهزمتُ
وشاعَ دمي في الهزيمِ

وخِلتُ العشيّاتِ مخلوقةٍ
لبكاءِ الغريبْ !
* * *
قالَ : غنّ ليتسعَ الليلُ
غنّيتُ حتى اعتللتُ وحتى تعبتُ
وحتى تصدّعَ صوتيَ من شدّة اليأسِ
و اشتعلَ الحزنُ في شهقاتِ النحيبْ .
* * *
وتلفّتُ حولي فما كانَ من (أحدٍ) أرتجيهِ
وجالتْ مع الريحِ أرواحُ من سكروا
واختفوا في غموضِ القناني .
* * *
كانَ قلبي الضعيف
يضمُّ على وحدتي جانحيهِ
وحُزْنّايَ في وحشتي ذاهبانِ !
* * *
أسكراني أيا صاحبا وحشتي أسكراني !
واسقياني من الدمعِ خمركما وارویاني !
فسواها على النأي ما هزّني وروانی .

كغزّولة من رياحين

مسكرٌ مطلعُ الصبح
مسكرةٌ رؤيةُ الشمس وهي تذوبُ بماء الغديرِ
وتنحلُّ بين مماشي القرنفل والأقحوانْ .
والضحى يتكسّرُ مثل كؤوسٍ من الضوء
فوق الدروبِ
ويصحو على قزحٍ ضاحكٍ
يتقوّسُ فوق جمالِ الحصانْ .
فاذبحيني على العشبِ
إن الصبايا الصغيرات يسكبنَ ماءَ الصبيحةِ في الكوزِ
ثم يسيّلنَ نهراً صغيراً على جسدِ النورِ
والصحوُ يكرجُ فوق السهوبِ كراتٍ من الأرجوانْ
والسماء حريريّةٌ بين نهدينِ
من يشتهي بلبلينِ من العطرِ
من يشتهي الكستناءَ على أمها
ونضوجَ السفرجل فوق الغصونِ
وقضمَ براعمَ من زعفرانْ ؟
وارتعاشَ زرازيرَ ثلجيّة الريشِ في جسدٍ أنثويّ الشموعِ
تعطّرهُ بروائحَ فيحاءَ عاصفةٌ من زهور
وزوبعةٌ من نوافيرَ
من يشتهي غيمةً تتموسقُ في زرقةِ الماء

أو مهرةً تتراكضُ حافيةً فوق عشب الربيعِ
وصولا إلى أول السنديانْ ؟
فاسرحي بجراركِ للنبع مثل القطاةِ الصغيرة
فوق الطريقِ المزركش بالأقحوانْ !
فالغيومُ الحلوبُ وقد طفحتْ بالعناقيد
ترضعُ أرواحنا خمرةً صرفة
والحقولُ الولودُ تقمّطُ بالورد أطيارها
بعد أن أطعمتها الرحيقَ
وتسقي قلوبَ الأسى بكؤوسٍ من البيلسانْ .
فاستحمّي بماءِ الأصابيحِ
بالأغنياتِ التي تتفتحُ مثلَ حمامِ السطوحِ
وفي أنثويّةِ هذي التباشيرِ ذوبي معطّرةً
ذوبانَ الأصابيع في كوب ثلجْ !
واستحيلي إلى موجةٍ من مناديلَ أو أجنحه !
وهديلاً وموجْ !
مثلما تستحيلُ شجيرةُ آسٍ إذا هزّها الإخضرارُ إلى زقزقاتْ .
فالنسائمُ مبخرةٌ تنعشُ القلبَ
والسرو أجراسُ فصحٍ ، قناديلها تسحرُ العينَ
واللوزُ ينثرُ زهر العروسِ ويسحرُ رؤياي كالشمعدانْ !
ريشةً .. ريشة .. طيّريني مع السقسقاتِ
لألعبَ مثل الأصابعِ فوق الكمانْ !
أيّ فصحٍ يزوّجُ في بركةِ الضوءِ أنثاهُ
كي تتوالدَ من مشتهى الشهواتِ عروساً مزيّنة ببلابلَ حمراءَ
يحملها ويطيرُ إلى أمّه الكروانْ .
.. هطلَ الغيثُ فاغتسلت بالغدائرِ أرواحنا
واستحالتْ نوارسَ
تحملُ أعشاشها وتحلّقُ باسطةً للشموسِ
جوانحَ بيضاءَ كالأشرعه
أيها الحزنُ يا زهرتي اليانعه !
مستحمّاً بشمس الطلوعِ
رأيتُ فتاةً مع الصبحِ ترقصُ وسط البساتينِ
ترقصُ دائرةٌ من حساسينَ حول يديها
ومن خصرها تتطايرُ شلحاتُ غيمٍ على زرقةٍ رائعه
تتغنى على سرحةِ النهر : زقزقَ طيرُ سنونو بصدري
وأغفتْ عيوني على صدرِ والدتي الهندباء
ومن نحري الغضّ يبزغُ مكتملَ الشهدِ قرصُ الأملْ
وجدائلُ شعري صارت بطولِ الحفيف
كأني دفلى من الجمرِ تعبرُ بي رعشةً ..رعشة
لمساتُ النسيم
وترفعُ قلبي إلى شفقٍ رائع الإزهرارِ
ذكورةُ نهرِ الجبلْ
كستناءٌ صباي وصوتي حسونُ هذا السياج
ولكنني مذ رأيتُ البحيرات رائقةً في سماواتِ عينيه

راحت تراهقُ في جسدي أنهرٌ من زهور
وتغمرني بالعذوبة (أنسامُ) آتيةٌ من سهلْ
وشعرتُ بأيدي الورودِ تهزّ غصوني وصولاً إلى مشتهاها
فينسابُ من أذرعي سكّرٌ سائلٌ
وتعضُّ فؤادي نسيمةُ صبحٍ
فتتركُ في كتفيَّ الطريين لطخةَ خوخٍ وسلّة فلْ
أنثويٌّ شعاعُ الصبيحةِ والشمسُ نافورةُ النورِ
تنشرُ أنوارها كالفراشاتِ في مشرقٍ ساحرِ الجريانْ
والغيومُ مسافرةٌ كالمظلاتِ تحت سماءٍ من الياسمين
وقد حملتها سلالٌ من الهدهداتِ إلى زفّة المهرجانْ
أسعديني بصوتِ الغناء السماويّ في رجعهِ الرائق الحزنِ
وهو يسيلُ كشلالِ أجنحةٍ من هفيفِ الطيورِ الزواجلِ
فوق الهضاب
لتسبحَ في ناظريَّ سماءُ الأنوثةِ كالزرقةِ الصافيه
شارداً أتمشّى على شاطىءِ النهر كالنرجسيّ
وحولي تهزُّ رؤوسُ السفرجل أجراسها بخمائرَ عطريّةٍ ونشوقٍ
فيسكرُ روحي شميمُ الورودِ الشهيّ
وما يتفتحُ من زنبقاتٍ على ساقيه
فأرى الأرضَ بنتَ التباشيرِ
تطلعُ من كهرباءِ الشروق المذهّبِ تفاحةً
تتراقصُ ألوانها كزواجِ العصافيرِ
والبحرَ من برتقالٍ جريحٍ على راحتيها
وزوجينِ .. زوجين تعلو الطواويسُ
ناشرةً شرشفَ النور في الرابيه
يا صبيّةَ هذا النداءِ الحميمِ
ارقصي خطوة .. خطوةً واستحيلي سحابةَ صيفٍ
وسيلي كجدولِ عشب
ودوري كزوبعةٍ من طيورٍ إلى آخر البيلسانْ !
يا فتاةً تغطُّ ضفائرها في دماءِ الصبيحة ثم ترشُّ كرومَ العنبْ
فيذوبُ نبيذُ العناقيد تحت عرائشه كشموعِ الذهبْ
يا فتاةً يدوزنُ قامتها النايُ والليل والخيزرانْ
كم سعيدٌ هو العاشقُ المتجوّلُ بين الدوالي
يقطّفُ أثداءها حبّةً .. حبّةً
ويهيمُ على وجههِ كالجداول في جنباتِ السكينةِ واللامكانْ !

شيخوخة الشاعر

إلى الشاعر الراحل ممدوح عدوان

أشرعَ الشاعرُ للريحِ ذراعيهِ
ونادى المطرَ الظمآنَ من أقبيةِ الغيمِ

ليروي حزنَهُ الغائرَ في الروحِ
فما جاشتْ سوى الوحشة في الأرضِ
ورجعِ الحسراتْ !
لكأنّ الريحَ في الأرضِ رهابُ الشاعرِ الرائي ،
وأصداءُ عويلِ الموتِ في الصحراءِ ،
رجعُ الندمِ الأوّلِ للمحتضرينَ العزّلِ ،
الحشرجةُ الظمأى لمرضى الأمنياتْ .
كلّما راودَهُ الموتُ بكى
من وحشةِ الدنيا ،
وظلماءِ ظلاميّةِ ليلِ الكائناتْ .
وتنادي كالمواويلِ مع الليلِ
ليستبصرَ حزنَ البشرِ الأعمى
فغاصتْ روحُهُ في الصمتِ ،
وارتدّتْ جراحاتُ الصدى البحّاءُ
من كلِّ الجهاتْ .
فمضى يردمُ بالأحجارِ
أشداقَ الهُوى القفراءِ
كي يبرأَ من جرثومةِ الخسرانِ
أو ينصبُ أفخاخاً ليصطادَ
غرابينَ المواتْ .
زاهدٌ في العمرِ كالنسّاكِ
لكن كلّما لاحَ لهُ الليلُ ضياءً (أسوداً)
أغمضَ عينيهِ
لئلا يبصرَ الموتَ الذي ينهبُ كالدودِ
جراحَ الشاعرِ المنتهكه .
كانَ كالليلِ وحيداً
لا يدانيهِ سوى الشعر
الذي يبيضُّ في شيخوخةِ الشاعرِ كالدمعِ
وتهتاجُ حروفُ اللغةِ العذراءِ كالنحلِ
لتحمي قلبَهُ المكسورَ
من لسعِ دبابيرِ المواتِ المهلكه .
أهيَ العزلةُ من تُغرقُ في تغريبةِ النسيانِ
وجهَ الراهبِ المغمورِ بالحسرةِ
أم نشدانهُ الخاسرُ للدهريِّ في الزائلِ ،
للساعاتِ في ركضِ الحروفِ المنهكه ؟
هوذا يبصرُ من نافذةِ الأمسِ
غروباً غارقاً في شمعدانِ الكونِ كالكأسِ

فيلقى في المدى الأوحشِ عينيهِ
ويستسلمُ معميَّاً على رؤياهُ
للضوءِ الذي تهرقهُ الظلمةُ في قلبِ النعاةْ .
هوذا مستغرقٌ في آخرِ الأمواجِ
يصغي لانتحابِ الريحِ في البرديّ
أو يستوحشُ الشمسَ الّتي
تغربُ خلفَ الأفقِ الدامعِ
كالغصّةِ في حلقِ الحياةْ !
هي ذي ترفعهُ الأرضُ على أكتافها
كالقمرِ الميتِ
وروحُ الحزنِ
تلحدهُ الغيمَ كبرقٍ قاصمٍ ظهرَ المواتْ .
وحدهُ في الغسقِ الغامضِ
ذئبُ المطرِ الأزرقِ يعوي على الشاعرِ
والشاعرُ مصلوبٌ
على صدرِ العذاباتِ
يضمُّ الكونَ ما بينَ ذراعيهِ
وتجثو حولهُ الأفئدةُ الثكلى ظماءً
: أيّها الشاعرُ يا عالي المدى ،
يا مُشتهى من كلّ نفسٍ
هزَّها الموتُ
أنلنا حزنَ عينيكَ
لنبكيكَ بكلّ الكلماتْ !
قلقٌ كالموجِ بين المأويينِ - البيتِ والتابوتِ _
ناداهُ نذيرُ الموتِ في الريحِ :
تمهّلْ يا ابنَ هذا الطينِ
ما أنتَ سوى قبضِ غبارٍ
فتولاهُ بكاءٌ غامضٌ في الروحِ
وانهلَّ الأسى من وجههِ كالمريماتْ !
وهو الواقفُ ما بين هبوبينِ عدوّينِ
لريحِ الوحشةِ الصفراءِ
والراكضُ كالطفلِ على إيقاعِ طبلِ البحرِ في الأمواجِ
يسترشدُ بالطيرِ الهلاليّ الذي يبحرُ

بالأجنحةِ السكرى إلى برّ النجاةْ .
: أيّها الطائرُ يا من يتراءى
مثلَ طيفٍ سابحٍ في بركِ النورِ
أنا النادمُ ليلاً بعد ليلٍ

وأنا التائهُ ، حطَّابُ العذاباتِ
فأرشدني إلى الشمسِ التي تشرقُ كالدمعةِ
كي يبصرني فجري ، وتلقيني إلى الموتِ الحياةْ .

الرجل الباكي

ذاتَ مساءٍ سرَّانيّ
والليلُ على صلبانِ الوحشةِ مصلوبٌ كغريبْ
وأنا أتطلَّعُ
من نافذةِ العزلةِ
نحو غروبِ الشمسِ الدامي
ككئيبٍ ينهلُ من أوجاعٍ مغيبْ
وأطهرُ نفسي من آثامِ الدنيا بالغصَّات ،
وحوباءَ الروحِ المجروحةِ
من أوضارِ الغربةِ بالعبراتِ
بلا قلبِ صديقٍ يسمعني حينَ أئنُّ
أو امرأةٍ تلقحني النورَ الأبيضَ
من آلاءِ أنوثتها الشهَّاءِ
فأبكي كالقديسِ أمامَ جمالِ الليلِ
وضوءِ هلالِ الحزنِ الأبيضِ
فأرى الظلمةَ بيضاءَ ..
قميصَ الوحدةِ أبيضَ
وأغاني الحبِّ بياضَ أغاني..
وأراني
من خلفِ خريفي الأسودِ
أترقَّبُ شمساً تغرقُ كوجوهِ الغرباءِ
فأحسبُ أنَّ الموتَ حبيبُ الفاني

ذاتَ مساءٍ سُرَّانيْ
والروحُ تسيلُ كما الدمعاتِ على النحرِ
ويطبقُ ليلٌ أعمى بجناحيهِ على رؤيايْ
جاءَ الرجلُ الباكي ليشاركني ساعاتِ الليل

ويغرسُ سيفاً أسودَ في صدرِ أسايْ 0
كانَ فقيراً منكسراً ظمآنَ
يكادُ من الوحدةِ يبكي
حدَّقَ في عينيَّ ذليلاً آسيانَ
فقلتُ: أخا الروح أواهْ !
من أنتَ لتطرقَ في هذي الساعةِ بابي المهجورَ
وتغريني بمواتكَ والموتُ حبيبْ ؟
قالَ : غريبٌ يبحثُ عن بيتِ غريبْ !
أصبرتَ ؟
صبرتُ
تعذّبتَ ؟
تعذبتُ
بكيتَ ؟
بكيتْ !
فلماذا بالله أتيتْ ؟
كي أتألَّمَ في محرابِ عذابكَ
ساعةَ يأسى وقنوطي وهواني !
قلتُ : وهل أعماكَ الحزنُ كما أعماني ؟..
قال : كبيرٌ في هذي الدنيا ندمي
وكثيرٌ خسراني !
قلتُ : فما أعظمَ ما يبكيكَ وأنت وحيدٌ
والفقرُ يغلُّ يديكْ !
قال : أجرني من غمّ الوحشةِ بالله عليكْ !
- لأكونَ صديقكَ وأخاك
ومبرء روحكَ من وزرِ جرائرها الضراءِ
أتيتُ
لأكنسَ أوراقَ تعاستكَ المصفرّةِ
من تحتِ سريركَ
و أهشُّ روائحَ موتكَ عن نفسكَ
حينَ يمرُّ العمرُ ولا يبقى إلاّهْ !
إذْ ذاكَ سمعتُ الريحَ تجيشُ على السعفِ
بكاءً وأواهْ !
فنحبتُ بصمتٍ وا حزناهْ !
من غيري في هذا الليلِ
يهدهدُ ما بين يديهِ قلوبَ الحزنِ ويبكي
موتاً لا يعرفُ مأتاهْ ؟
من غيري يستحضرُ أحزانَ الروحِ

ويغرقُ كالنادمِ في سوأةِ رؤياهْ ؟
قالَ وقد جاشَ الدمعُ بعينيهِ الباكيتينْ :
مولايَ النادمَ بكآبةِ حزنٍ أسودَ
من يبكيكَ بكاءَ الروحِ الأعزلِ
من يوجعُ قلبكَ
والقلبُ الجائعُ يبكي آخرَ ساعاتِ الليلِ
ومن يرويكَ بخمرِ مراثيهِ
أو يركعُ قدّامَ شقائكَ
في هذا الألمِ الداهمِ منْ ؟
قلتُ : وحيداً يبكي الشاعرُ في قدّاسِ الليلِ
يكبُّ كمحتضرٍ فوقَ كتابِ العزلةِ
كي يقرأ أسماءَ المرتحلينْ!
ويرجحُ رأساً مخموراً فوق رسائلَ مهملةٍ
لكن ما أصعبَ أن يقرأَ سكّيرٌ أشعارَ أناسٍ سكّيرينْ !
ما أصعبَ أن تشتعلَ الريحُ على الأبراجِ كخيطِ نحيبْ !
ما أصعبَ أن يفهمَ في هذا الليل غريبٌ
أسبابَ غريبْ !

سماء بدائية الليل

اسمعيني غناءكِ وقتَ المساءْ !
نغمةُ الحزنِ ثكلى
وطعمُ المرارةِ في كلّ ماءْ !
يا فتاةَ المدامعِ يا شمعةَ الأمّ
وهي تقطّرُ دمعاتها في ليالي السوادْ !
اسمعيني
لتسقطَ نفسُ المتيّمِ
سكرى على صوتكِ المستعادْ .
زهرةٌ من زهوركِ تدمعُ في الكأسِ
ماءَ الأسى والحدادْ !
وغدائرُ شعركِ تهطلُ مثلَ سنابلَ
سوداءَ فوقَ الكفنْ .
نامتِ الطفلةُ المتوفّاةُ
محفوفةً بالشموعِ
وفاضَ الشجنْ !
وحماماتُ صوتكِ
تسقطُ من شرفاتِ المآذنِ
فوق مراثي الرمادْ .
نامتِ الطفلةُ المتوفّاةُ ..
لا غرسةُ الوردِ مسقيّةٌ فوق صدري
ولا نبتَ القمحُ من شهقاتِ الفؤادْ !
أيقظيها من النومِ
إنّ النواعيرَ راجعةُ الحزنِ
تبكي معاطشها في المغيبْ ..
والمساءاتُ موحشةٌ تتلاحقُ فيها غيومُ النعيبْ
أيقظيها
لتنهلَ تحت سماءٍ بدائيّة الليلِ
ماءَ المنيّةِ من معمدانيّةِ الدمعِ
تاركةً خيطَ ضوءٍ كئيبْ
ذائباً بين عينينِ مغمضتينِ
على طيفها المتألم دون انتهاءْ .

دائماً ألمحُ الصمتَ منكسراً
في العيونِ كرنّةِ صوتْ

وأرى جرسَ الحزنِ يسكتُ في
ناظريكِ جريح السكوتْ !
وأرى حيثما تنظرينْ
مغرباً دامعاً
وفوانيسَ تشربُ من ضوئها
كائناتُ الأنينْ .
وأرى حيثما تشخصينْ
نساءً تربّي ضفائرها
فوق حقلِ الرمادْ
وبواكٍ على الميتِ عند الغروب
وقداسَ نعيٍ حزينْ
هزّةُ المهدِ فارغةٌ باسعادْ !
والذي أخذتهُ (السنينُ)
بغير الأغاني الحزينة
لا يُستعادْ

الفهرس

جاري يا عازف الكمان	2
نهلرية لانتحار العاشقه	7
بحيرات للتأمل	13
موسيقى الحزن الأزرق	15
في الباحة البيضاء للبيت العتيق	20
قرية تحت سفح الغياب	27
حنجرة العندليب	29
كروان الليل الوردي	31
كطلعة شمس على ساقيه	39
المرآى المصفى للأنوثة	44
حوارية المراثي	46
وداعية الأسلاف	48
سنونوة من زبد	49
حجر المراهقة القديم	52
النداء بأحرف المدّ الطويلة	57
حداء على مسمع الأبجدية	62
الركض خلف عقارب الساعات	66
تحت غيبوبة الياسمين	70
جدار التصاوير	73
حسرات لأخيلة الغائبين	77
أنوثة الألوان	81
باقة من شموس	83
أندلس الغريب	90
عراك بين ذئبي الأبجدية والأربعين	92
كهرباء العواصف في الليل	96
بيت عزاء	100
سماء من زقزقات	103
ماء المرأة البيضاء	111
يسوعية قديس	115
الشاعر يتأمل في الليل	121
إكسير المحبين الحزانى	126
مساء لوجهها المتأمل	129
هلالية الليل الطويل	132
عموا وحشة أيها الشعراء	135

جفناي من ذرف الدموع 137
الواقفون على الشرفات 138
نهاوند ناي 141
ما كان من أحد 142
كغزولة من رياحين 144
شيخوخة لشاعر 147
الرجل الباكي 150
سماء بدائية الليل 153
الفهرس 155